

كِتَابُ تَحْقِيقِ الْبُرْهَانِ فِي اثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْمَلِيكِ

تأليف
مَرْعِي الْحَنْبَلِيِّ الْقُدْسِيِّ

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ



تحقيق
د / سليمان بن صالح الخزني
الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم
بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجي

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

التمهيد

سبب اختيار الكتاب :

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فرغبة مني في مواصلة السير على درب العلم والمعرفة - كنت أقلب فهارس المكتبات التي تعني باحتفاظ الكنوز الثمينة من المخطوطات القيمة ، التي تركها لنا علماؤنا بغية الوصول إلى واحدة منها تستحق إخراجها من الظلام المترآم إلى نور الشمس وضياؤها - ليستفيد منها الناس . وأنا أولهم .

وبتوفيق من الله تعالى وعون منه ، وقع نظري على مجموع ، يحتوي على عديد من المؤلفات القيمة للشيخ الجليل : زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي . المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ ، وذلك في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة .

فتصفحت هذه المؤلفات ، ثم قرأتها قراءة إمعان ، مما جعلني وصلت إلى نتيجة ، أن هذه المؤلفات صالحة للتحقيق والنشر ، لأنها - مع صغر حجمها - تعالج موضوعات مهمة في التفسير والعقيدة .

ولعل المؤلف وضع في عين الاعتبار عند تأليفه لها ، الإفادة العامة ، فجعلها في رسائل صغيرة ، ليضمن وصولها إلى عدد كبير من الناس - لأن المؤلفات الكبيرة والضخمة لا يقدم على قراءتها والاستفادة منها إلا كبار أصحاب العلم والمعرفة ، ومن يوجد لديه همة عالية

ومثابرة ، وأما الرسائل الصغار ، فلا يتردد كثير من الناس في اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها .

ومن هنا رأيت أن تحقق هذه المؤلفات وتنشر بين الناس ، ووقع اختياري علي هذه الرسالة . وهي :

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان »

وذلك في أول الأمر . آملا من الله تعالى أن تعقبها بقيتها في أقرب مدة وأيسرها .

الخطـة :

والخطـة التي سلكتها في تحقيق هذا الكتاب على النحو التالي :
قسمت عملي إلى ثلاثة أقسام . أولها : قسم الدراسة . والثاني :
قسم تحقيق النص . والثالث : قسم الفهارس .
وجعلت القسم الأول في : تمهيد ومقدمة وثلاثة مباحث .
أما التمهيد - وهو الذي نحن فيه - ففي سبب اختيار الكتاب
للتحقيق والخطـة التي سلكتها فيه .

والمقدمة في : الميزان عند أهل السنة والجماعة ، وبينت فيها معنى
الميزان لغة واصطلاحاً ، واختلاف الناس فيه ، ومعتقد أهل السنة
والجماعة نحوه ، بشيء من التفصيل ، وبعض ما يتعلق به من مباحث
أخرى .

وأما المبحث الأول ، فهو في ترجمة يسيرة للمؤلف ، علما بأنه قد

قام بدراسة ترجمته أكثر من واحد ، وأوفأها دراسة : جميل عبيد عبد المحسن القرارة في رسالته التي حصل بها على شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة في عام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ . وعنوانها : « تحقيق أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات » لمرعي بن يوسف .

فاعتمدت على دراسته في ترجمة المؤلف ، علما بأن الكتاب - أي أقاويل الثقات - طبع أخيرا بتحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط ، وهو أيضا ترجم للمؤلف .

والمبحث الثاني في : دراسة الكتاب ووصف النسخ الخطية .
 فبينت عند دراسة الكتاب اسمه ، وتوثيق نسبته إلى المؤلف ، ومنهجه فيه ، والمصادر التي استفاد منها ، وبعض الملاحظات التي ظهرت لي على الكتاب .

ووصفت النسختين الخطيتين اللتين اعتمدت عليهما .
 والمبحث الثالث في : بيان المنهج الذي سلكته في تحقيق الكتاب .
 وأما القسم الثاني فهو في : تحقيق النص ، وجعلته في أعلى الصفحة مع تعليقات موجزة في أسفل الصفحة .

والقسم الثالث في : الفهارس . فأعددت عدة فهارس تسهيلا للرجوع إلى الكتاب ، وتعميما لفائدته .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعم به النفع ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم .

المقدمة

الميزان عند أهل السنة والجماعة

الميزان لغة : مفعّل من : وزن الشيء وزنا وزنة ، والوزن : ثقل شيء بشيء مثله ، كأوزان الدراهم .

يقال : وزن فلان الدراهم وزنا بالميزان ، وإذا كاله فقد وزنه أيضا .

ويقال : وزن الشيء إذا قدره ، ووزن ثمر النخل ، إذا خرصه .

هكذا ورد في بعض المعاجم ^(١) .

وقال الراغب : « الوزن : معرفة قدر الشيء » يقال : « وزنته وزنا وزنة ، والمتعارف فيه عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان » ^(٢) .

والميزان : اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء ، وإن العرب يسمون أيضا الأوزان التي يوزن بها الثمر وغيره : « المسواة من الحجارة والحديد الموازين » ^(٣) .

وأصل الميزان : موازن ، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ، وجمعه : « موازين » ^(٤) .

وقال ابن منظور : « وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه :

(١) انظر تهذيب اللغة (٢٥٦/١٣) ، ولسان العرب (٤٤٦/١٣ ، ٤٤٧) .

(٢) المفردات (ص ٨١٩) . ومن هذا يتبين أن المعروف في الوزن : ما يقدر بالقسطاس والمثاقيل ، ولكنه يستعمل أيضا في التقدير مطلقا ، وفي الكيل والخرص .

(٣) لسان العرب (٤٤٦/١٣) .

(٤) الصحاح (٢٢١٣/٦) .

موازين » قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ (١) . يريد نضع
الميزان القسط (٢) .

وأما الميزان في اصطلاح الشرع : فهو ما ينصبه الله تعالى يوم
القيامة لوزن أعمال العباد ، إظهارا لكمال عدله . وقد ورد ذكر هذا
الميزان في عديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية .

فمن الآيات . قوله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت
موازينه ، فأولئك هم المفلحون ﴾ * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا
أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس
شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسين ﴾ (٤)

وقوله : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ * ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ فهو في عيشة راضية ﴾ * وأما من
خفت موازينه ﴾ فأمه هاوية ﴾ (٦) .

وأما الأحاديث النبوية فهي كثيرة جدا . منها الحديث المعروف
بحديث البطاقة (٧) .

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) لسان العرب (١٣ / ٤٤٦) .

(٣) سورة الأعراف الآيتان ٨ ، ٩ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٥) سورة المؤمنون الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٦) سورة القارة الآيات ٦ - ٩ .

(٧) ذكره مرعي بن يوسف في رسالته (ص ٦٠) . وانظر تخريجه هناك .

ومنها قوله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (١) .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يجتني سواكا من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه . فقال رسول الله - ﷺ - : « مم تضحكون ؟ » قالوا : « يانبي الله من دقة ساقيه » . فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان أحد » (٢) .

وقوله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض » (٣) .
وهناك أحاديث أخرى عديدة جمعها الآجري ، وابن كثير (٤) ، وقد تصل هذه الأحاديث مبلغ التواتر (٥) .

وبناء على هذه الآيات الصريحة ، والأحاديث الواضحة ، ذهب الجمهور من أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا ، إلى الإيمان بالميزان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٣٧/١٣ رقم ٧٥٦٣) .

ومسلم في صحيحه (٢٠٧٢/٤ رقم ٢٦٩٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٠/١ ، ٤٢١) . وإسناده حسن كما قال الألباني

في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١ رقم ٢٢٣) من أبي مالك الأشعري .

(٤) انظر الشريعة للآجري (ص ٣٨٢ - ٣٨٧) ، والنهاية (الفتن والملاحم)

(٢٣/٢ - ٣٥) .

(٥) صرح السفاريني في لوايح الأنوار (١٨٥/٢) بأن أحاديث الميزان بلغت

مبلغ التواتر ، وقال الألباني : « والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة ،

الصحيحة (ج ١ ص ٥٣ رقم ١٣٥) .

الحقيقي ، وأن له كفتين ^(١) حسيتين ، ينصب يوم القيامة ويوزن به أعمال العباد ، فمن رجحت حسناته ، فمصيره إلى الجنة ، ومن رجحت سيئاته ، فمصيره إلى النار ، ومن تساوت حسناته وسيئاته ، تفضل الله عليه فأدخله الجنة ، هكذا ذكر أبو الحسن الأشعري ^(٢) .

وقال الطحاوي في عقيدته : « ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال ليوم القيامة و ... والصراط والميزان » ^(٣) .

وعقد الآجري في كتاب الشريعة كتابا ترجم له بقوله : « الإيمان بالميزان : إنه حق يوزن به الحسنات والسيئات » ^(٤) .

وذكر ابن بطة : « الإيمان بالميزان ضمن عقائد السلف » ^(٥) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - عندما سئل عن الميزان - : « هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة ... » وذكر بعض الآيات السابقة ^(٦) .

وقال الإيجي من علماء الكلام : « إن جميع ما جاء به الشرع من الصراط والميزان والحساب ... حق ، والعمدة في إثباتها إمكانها في نفسها ^(٧) ، إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته مع إخبار

(١) يذكر المفسرون وغيرهم أن له لسانا أيضا ، ولكنه لم يثبت - فيما صح - عن النبي - ﷺ - ، وإنما ورد في كلام بعض السلف ، كما سيأتي (ص ٥٢) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢) .

(٣) العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٦) .

(٤) الشريعة (ص ٣٨٢) .

(٥) الشرح والإبانة (ص ٢٠٢) .

(٦) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) .

(٧) هكذا قال . والأحسن - في نظري - أن يقال في مثل هذا : « العمدة في إثباتها : الكتاب والسنة الصحيحة مع إمكانها في نفسها .

الصادق عنها ، وأجمع عليه المسلمون قبل ظهور المخالف ونطق به الكتاب ... » (١) .

وتكثر نصوص العلماء من السلف والخلف في التصريح بالإيمان بالميزان الحقيقي ، بحيث لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب العقيدة والتفسير ، حتى نقل بعضهم إجماع أهل السنة على ذلك ، فنقل الحافظ ابن حجر عن أبي إسحاق الزجاج ، أنه قال : « أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان (٢) وكفتان ، ويميل بالأعمال » (٣) .

وكذا ذكر السفاريني - فإنه قال - : « والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ، ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ... » . ثم ذكر الآيات والأحاديث إلى أن قال : « ... فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقى ذو كفتين ولسان ، كما قال ابن عباس (٤) ، والحسن البصري ، وصرح بذلك علماؤنا والأشعرية ... وغيرهم ، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه » (٥) .

ولكن ورد عن بعض السلف ما يخالف هذا ، إذ روي عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والأعمش ، أن الميزان بمعنى العدل والقضاء (٦) .

- (١) المواقف في علم الكلام (ص ٣٨٥) .
- (٢) تقدم أنه لم يرد ذكر اللسان فيما صح عن النبي ﷺ وإنما جاء في كلام بعض السلف ، والأحسن في مثل هذا ، التوقف عند نصوص الكتاب والسنة .
- (٣) فتح البارى (٥٣٨/١٣) .
- (٤) روايته عن ابن عباس غير صحيحة كما سيأتى (ص ٥٣) .
- (٥) لوامع الأنوار (١٨٥ ، ١٨٤/٢) .
- (٦) سيأتى تخريج قولهم (ص ٥١) . وانظر أيضا تفسير الرازى (١٧٦/٢٢) .

وروي ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى :
« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » ^(١) أنه قال : « إنما هو مثل ، كما
يجوز وزن الأعمال كذلك يجوز الخط » ^(٢) .

وحكى القرطبي عن مجاهد أنه قال : « الميزان الحسنات والسيئات
بأعيانها » ، وعنه أيضا ، وعن الضحاك والأعمش أنهم قالوا : « الوزن
والميزان بمعنى العدل والقضاء ، وذكر الوزن ضرب مثل ، كما تقول : « هذا
الكلام في وزن هذا ، وفي أوزانه : أي يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك
وزن ... » ^(٣) .

وعند ما حكى الرازي هذا القول عن المذكورين ، نسبه - أيضا -
إلى كثير من المتأخرين . فقال : « وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا
القول » ^(٤) .

وتمسك بهذا القول المعتزلة أيضا ، فقد عزا ذلك صاحب المواقف
إلى المعتزلة جميعا ، حيث قال : « وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن
آخرهم » ^(٥) .

ويظهر أنهم مختلفون فيما بينهم في هذه المسألة ، وفيهم من لم
يصرح بإنكاره للميزان ، وقد قال أبو الحسن الأشعري - عند ذكره لمن

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) تفسير الطبري (٣٣/١٠) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

(٤) تفسير الرازي (٢٥/١٤) . لم يتضح لي مراده من قوله : « كثير من
المتأخرين » .

(٥) المواقف (ص ٣٨٤) . ونقل القرطبي وغيره عن ابن خورك أنه عزا إنكار
الميزان إلى المعتزلة مطلقا . انظر تفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

أنكر الميزان :- « وقال أهل البدع بإبطال الميزان ، وقالوا : « موازين وليس بمعنى كفات وألسن ، ، ولكنها المجازاة ، يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن ، وأنكروا الميزان ... » إلى أن قال : « وقال قائلون بإثبات الميزان ، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين ، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى ، فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة ، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار » (١) .

ولعل القاضي عبد الجبار من الفريق الثاني من فريقَي المعتزلة اللذين ذكرهما الأشعري . فإنه قال - عند قوله تعالى : « والوزن يومئذ الحق ... » (٢) :- « وهذه الآية تدل على نصب الموازين في الحقيقة يوم القيامة ، لأنه تعالى ذكرها ، وذكر فيها الخفة والثقل ، وقد بينا أن وزن الأعمال مع أنها عرض - وهي متقضية - يستحيل ، فالمراد بذلك أنه تعالى يجعل فيها أمانة يتبين برجحان البعض أن المطيع من أهل الجنة فيعظم سروره » (٣) .

وذكر الألوسي هذا القول عن مجاهد وغيره . ثم قال : « وإليه ذهب المعتزلة ، إلا أن منهم من جَوَزَ الوزن بالمعنى المتعارف عقلا ، وإن لم يقض بثبوته ، كالعلاف ، وبشر بن المعتمر ، ومنهم من أحاله » (٤) .

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢ ، ٤٧٣) .

(٢) سورة الأعراف الآية ٨ .

(٣) متشابه القرآن (٢٧٤/١) .

(٤) روح المعاني (٨٣/٨ ، ٨٤) .

وهذا الرنخشري الذي عهدنا مساندته لما يذهب إليه المعتزلة في كثير من الأحيان ، لم يصرح بإنكار الميزان ، وقد تعرض للمسألة مرتين ، واكتفى فيهما بذكر القولين ، وفي الأولى قدم القول الأول ، وفي المرة الثانية قدم القول الثاني ، وأجاب عما يرد على القول الأول مما يوحي أنه يميل إليه (١) .

وأما استدلالهم على هذا القول - أي أن الميزان بمعنى العدل والقضاء - فذكروا أن حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائز في اللغة ، لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا ، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل ، ومما يقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره يقال : إن فلانا لا يقيم لفلان وزنا ، ويقال : « هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه : أي يعادله ويساويه ، مع أنه ليس هناك وزن في الحقيقة ، ذكره الرازي (٢) .

وأما المعتزلة فحملهم على إنكارهم للميزان الحقيقي ووزن أعمال العباد الحسنة منها والسيئة ، تشبثهم بالشبهة التي مفادها ، أن الأعمال أعراض ، وهي مما لا تبقى ولا يمكن إعادتها ، وعلى فرض بقائها ، أو إمكان إعادتها ، يمتنع وزنها إذ لا توصف بثقل ولا خفة ، ثم إن الوزن للعلم بمقدارها ، والتفاوت فيها ، والله تعالى عالم بذلك ، فلا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه ففعله قبيح ، والرب تعالى منزّه عن فعل القبيح (٣) .

(١) انظر الكشف (٥٣/٢ ، ٥٤ ، ١٣/٣) .

(٢) انظر تفسير الرازي (٢٥/١٤) .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢) ، والمواقف (ص ٣٨٤) ، وتفسير

الرازي (٢٦/١٤) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) ، وروح المعاني (٨٤/٨) .

وهناك قول ثالث ذكره الأزهري نقلا عن الزجاج - وهو أن الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق ^(١) - لم أتمكن من معرفة القائل بذلك ، والمستند الذي اعتمد عليه في هذا القول .

والراجع من هذه الأقوال هو القول الأول ، الذي نطق به القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وصرح به الأئمة سلفا وخلفا - وقد أجاب أصحاب هذا القول ، عما تمسك به أصحاب القول الثاني ، فقال الزجاج - بعد أن ذكر الأقوال الثلاثة - : « هذا كله في باب اللغة ، والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح ، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة ، فينبغي أن يقبل ذلك » ^(٢) ذكره عنه الأزهري والقرطبي وغيرهما ^(٣) - وعلق القشيري على الزجاج فقال - : « وقد أحسن فيما قال ، إذ لو حمل هذا فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل ، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصا » . ذكره : القرطبي ، والشوكاني ^(٤) .

ونقل الألوسي عن الآمدي أنه اعترض على قولهم بأن الميزان

(١) تهذيب اللغة (٢٥٧/١٣) ، وانظر أيضا فتح القدير (١٩٠/٢) .

(٢) قلت : بل هو المتعين ، لا يسع المؤمن غيره .

(٣) انظر تهذيب اللغة (٢٥٧/١٣) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) ، وفتح

القدير (١٩٠/٢) .

(٤) انظر المصدرين السابقين لهما ، وأيضا التذكرة (ص ٣٧٨) .

موصوف بالثقل والخفة ، والعدل والإنصاف لا يوصفان بذلك ، وفي الإخبار ما هو صريح في أن الميزان جسماني » (١) .

وذكر ابن كثير قول مجاهد ، والضحاك ، والأعمش نقلا عن القرطبي ، ثم قال : « لعل هؤلاء إنما فسروا هذا عند قوله : ﴿ والسمااء رفعها ووضع الميزان ﴾ ألا تطغوا في الميزان ﴾ وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان ﴾ (٢) . فالميزان في قوله : « ووضع الميزان » أي : العدل ، أمر الله تعالى عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم ، فأما الميزان المذكور في يوم القيامة فقد تواترت بذكره الأحاديث وهو ظاهر القرآن : ﴿ فمن ثقلت موازينه ... ومن خفت موازينه ﴾ . وهذا إنما يكون الشيء المحسوس (٣) .

وكذا ذكر أبو حيان أن الثقل والخفة من صفات الأجسام (٤) . وأما شبهة المعتزلة فأجابوا عن استحالتهم لوزن الأعمال بأن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما ، فيزنها ، أو أن الصفائف التي أثبتت فيها الأعمال هي التي توزن ، ويحدث الله فيها ثقلا وخفة ، فيها تثقل الموازين وتخف (٥) .

(١) روح المعاني (٨٤/٨) .

(٢) سورة الرحمن الآيات ٧ - ٩ .

(٣) النهاية - الفتن والملاحم (٣٥/٢ ، ٣٦) . وهذا الكلام قد يكون له وجه ، لا سيما روى ابن جرير في تفسيره (١١٨/٢٧) ، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ ووضع الميزان ﴾ . قال : « العدل » ولكن يرفض ذلك ما روي عنه أنه وصف بعض الآيات التي ورد فيها ذكر ميزان القيامة بأن ذلك ضرب المثل . وقد تقدم (ص ١٠) .

ونقل القرطبي عنهم هذا القول ، فقال : « قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة : ذكر الميزان مثل ، وليس ثم ميزان ، وإنما هو العدل » . تفسير القرطبي (٢٩٤/١١) .

(٤) البحر المحيط (٢٧٠/٤) .

(٥) انظر زاد المسير (١٧٠/٣) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) ، والبحر المحيط

(٢٧٠/٤) ، وفتح الباري (٥٣٩/١٣) .

وبكلا الأمرين وردت الأحاديث النبوية ^(١) ، ثم إن نصب الميزان يوم القيامة ، ووزن أعمال العباد من أمور الآخرة التي لا يمكن أن يدخلها القياس ، أو تقدر بأمور الدنيا .

وأما قولهم : « إن الله تعالى عالم بمقادير الأعمال ... » . فأجابوا عنه : « بأن وزن الأعمال لا يكون لأجل أن يعرف الله سبحانه وتعالى ، بل يكون لتعريف الخلائق ما لهم من حسنات أو سيئات ، وكذلك لتعريفهم بكمال عدل الله تعالى ، ونظير هذا أنه أثبت أعمال العباد في الكتب من غير جواز النسيان عليه ، ونظيره أيضا أنه يسألهم عن أعمالهم ، فيعترفون بها بألسنتهم ، وتشهد عليهم بها أيديهم وأرجلهم ، وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد » ^(٢) .

وقد اشتد إنكار الشوكاني على أولئك الذين استبعدوا حمل الظواهر للآيات الواردة في الميزان على حقائقها . فقال : « وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه ، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية ، وليس في ذلك حجة على أحد ، فهذا إذا لم تقبله عقولهم ، فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم » . وقال من شاء كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم ^(٣) .

(١) سيأتي التفصيل في ذلك .

(٢) انظر زاد المسير (١٧١/٣) ، والبحر المحيط (٢٧٠/٤) ، والفتوحات الإلهية (١٢٣/٢) . وقد ذكر العلماء عدة حكم في نصب الميزان يوم القيامة . وسيأتي ذكرها .

(٣) فتح القدير (١٩٠/٢) .

صفة الميزان :

وقد أكثر المفسرون وغيرهم من إيراد الآثار والأخبار في وصف هذا الميزان وأصله وهيئته وأحواله ، حتى ذكروا له الخيط واللسان ، وأنه الجواهر أو الياقوت . وذكروا أيضا آثارا في تحديد الموضع الذى سينصب فيه ، وقد تعرض المؤلف - أيضا - بشيء من ذلك تحت عنوان : « عظمه » . وتحت عنوان : « صفته » . والحقيقة أن أغلب هذه المرويات موقوفة على الصحابة ، أو على من دونهم ، والكثير منها لا يصح إسناده إلى القائلين به ، وما صح منها لا يستبعد أن يكون مأخوذا من الأخبار الإسرائيلية . نعم هناك بعض الأحاديث وردت في بيان عظم الميزان ، منها ما رواه سلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا وموقوفا ، أورده المؤلف وفيه : « لو وزن فيه السموات والأرض لوسعتن » (١) .

ونظرا لعدم صحة أغلب ما ورد فيه . فقد نفى أبو حيان جميع الآثار الواردة فيه حيث قال : « وما ورد في هيئته وطوله وأحواله لم يصح إسناده » (٢) .

وفي هذا الإطلاق نظر ، لأن ما رواه سلمان الفارسي صحيح . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب » (٣) .

وقال الجمل : « وأما ماهية جرمه من أي الجواهر ؟ وأنه موجود الآن ، أو سيوجد فتمسك عن تعيينه » (٤) .

(١) انظر الحديث وتخرجه في (ص ٥٤)

(٢) البحر المحيط (٢٧٠/٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) .

(٤) الفتوحات الإلهية (١٣١/٣) .

متي ينصب الميزان :

لم يرد في ذلك نص صريح ، وقد أشار العلماء إلى وقته باجتهاد منهم واستنباط ، فذكروا أنه ينصب بعد الحساب . ذكره القرطبي . فقال : قال العلماء : « إذ انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، فيكون الجزاء بحسبهما » ^(١) ونقله عنه الحافظ ابن كثير ، وشارح العقيدة الطحاوية ^(٢) .

اختلاف العلماء في الموزون :

« اختلف العلماء في تعيين الموزون على ثلاثة أقوال :

أحدها :

أن الأعمال هي التي توزن ^(٣) . وقد وردت أحاديث عديدة تدل على ذلك منها ما تقدم : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض ... » ^(٤) .

(١) التذكرة (ص ٣٧٣) .

(٢) انظر النهاية - الفتن والملاحم (٢٢/٢) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٢) ، وانظر أيضا الفتوحات الإلهية (١٣١/٣) . .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (١٤٩/٢) ، والرازي في تفسيره (٢٥/١٤) وغيرهما من المفسرين . وعزا بعضهم إلى ابن عباس .

(٤) تقدم في ص : ٨ .

وورد من حديث أبي الدرداء مرفوعا « ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن » (١) .

ومن حديث جابر مرفوعا : « توضع الموازين يوم القيامة ، فتوزن الحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار ... » (٢) .

وذهب إلي اختياره الحافظ ابن حجر ، حيث صرح : « بأن الصحيح هو أن الأعمال توزن » (٣) .

ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية - أيضا - اختار هذا القول ، فإنه ذكر عدة أحاديث في الميزان . ثم قال : « وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات . وبالعكس ... » (٤) .

ثم إن الذين ذهبوا إلى القول بوزن الأعمال .ذكروا أن الله تعالى يقبلها أجساما وذواتا توضع في الميزان . فقال الحافظ : « والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تجسد أو تجعل في أجسام ، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة ، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ، ثم توزن » (٥) .

(١) رواه أبو داود في سننه (١٥٠/٥ رقم ٤٧٩٩) . وصححه ابن حبان كما ذكر ابن حجر في الفتح (٥٣٩/١٣) .

(٢) عزاه القرطبي في التذكرة (ص ٣٨٤) ، وابن حجر إلى خثيمة .

(٣) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) ، وأيضا (١٤٥/٣) .

(٥) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

وذكر ابن كثير هذا القول وبعض الأحاديث الدالة عليه ، ومنها الحديث السابق : « والحمد لله تملأ الميزان » . ثم عقب عليه فقال : فقوله : « والحمد لله تملأ الميزان » . فيه دلالة على أن العمل نفسه - وإن كان عرضا - قد قام بالفاعل يحمله إليه يوم القيامة فيجعله ذاتا يوضع في الميزان (١) .

ومما يؤيد قولهم هذا ، حديث أبي أمامة الباهلي مرفوعا ، وفيه : « اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ... الحديث » (٢) .

ولكن أنكر ذلك القرطبي . فإنه قال : ومن المتكلمين من يقول : « إن الله يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة » وهذا ليس بصحيح عندنا (٣) ، ولم يذكر السبب في عدم صحته .

والقول الثاني :

أن الصحائف التي فيها أعمال العباد توزن ، ويدل عليه حديث البطاقة . وذهب إليه جمهور من المفسرين .

كما ذكر السفاريني (٤) - واختاره ابن عبد البر والقرطبي (٥) -

(١) النهاية - الفتن والملاحم (٢٦/٢) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٥٥٣/١ رقم ٨٠٤) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

(٤) لوامع الأنوار (١٨٧/٢) . وانظر أيضا : تفسير الرازي (٢٥/١٤) ، وزاد

المسير (١٧٠/٣) ، والبحر المحيط (٢٧٠/٤) .

(٥) انظر التذكرة (ص ٣٧٧) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

ورجحه الطيبي ، كما نقل عنه ابن حجر ، وذكر عن ابن عمر أنه قال : « توزن صحائف الأعمال » ^(١) وصوبه المؤلف في هذا الكتاب وغيره ^(٢) . ووصفه السفاريني بأنه الحق ^(٣) .

والقول الثالث :

أن العامل نفسه يوزن . ذكره البغوي ، وابن كثير ، والجمل ... وغيرهم ^(٤) . وقيل : إن العبد مع عمله يوزن ^(٥) ، واحتج القائلون بأن العامل نفسه يوزن بما رواه أبو هريرة مرفوعا : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » ^(٦) .

وجاء في رواية أخرى لهذا الحديث : « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم ، فيوزن بحبة ، فلا يزنها » ^(٧) .

واحتجوا - أيضا - بما تقدم من حديث ابن مسعود . وقد قال فيه النبي - ﷺ - عن ساقيه : « والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » ^(٨) .

(١) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

(٢) انظر بهجة الناظرين (ق ١٤٦٨ / ب) .

(٣) لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(٤) انظر تفسير البغوي (١٤٩/٢) ، وتفسير ابن كثير (٢٠٢/٢) ، والفتوحات الإلهية (١٢٢/٢) .

(٥) ذكره المؤلف . كما سيأتي (ص ٥٨) ، والسفاريني في لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦/٨ رقم ٤٧٢٩) ، ومسلم في صحيحه (٢١٤٧/٤ رقم ٢٧٨٥) .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٥/١٦) .

(٨) تقدم ذكره ص ٨ .

وأما الذين قالوا : « إنه يوزن مع عمله » . فاحتجوا بما رواه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ، فيوضع ما أحصى عليه ، فتمايل به الميزان . قال : فيبعث به إلى النار » قال : « فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول : لا تعجلوا ، لا تعجلوا ، فإنه قد بقي له ، فيؤتى ببطاقة فيها « لا إله إلا الله » فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان » (١) .

وقال ابن كثير : « وهذا السياق فيه غرابة ، وفيه فائدة جلية ، وهو أن العامل يوزن مع عمله » (٢) . وهذا الإسناد ضعيف . والعلة فيه ابن لهيعة ، وكان قد احترقت كتبه ، فاختلط (٣) .

وقد أنكر بعض المفسرين على القول بأن الأشخاص يوزنون . فقال الجمل - بعد أن ذكر هذا القول - والحديث الذي احتجوا به : « هذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الأشخاص في الميزان ، لأن المراد بقوله : « لا يزن عند الله جناح بعوضة » مقداره وحرمته ، لا وزن جسده ولحمه » (٤) .

وقال الألوسي : « ولا أدري على هذا ما يوضع في الكفة الأخرى من الميزان ، إذا وضع المذنب في إحدهما ، ووضع شخص في مقابلة

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١/٢ ، ٢٢٢) .

(٢) النهاية - الفتن والملاحم (٢٤/٢) .

(٣) انظر تقريب التهذيب (ص ١٨٦) .

(٤) الفتوحات الإلهية (١٢٢/٢) .

شخص لا أراه إلا كما ترى ، والخبر ليس نصا في الدعوى كما لا يخفى » (١) .
وأما ابن كثير . فلم ير فيه شيئا من ذلك ، بل ذهب إلى الجمع
بين هذه الأقوال والنصوص الدالة عليها ، فإنه قال : « وقد يمكن الجمع
بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ،
وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها . والله أعلم » (٢) .

واستأنس في هذا الجمع بحديث عبد الله بن عمرو . وقال :
« وهذه الرواية تجمع الأقوال كلها بتقدير صحتها . والله أعلم » (٣) .
وببدو لي أن الأحسن في مثل هذا ، هو الجمع بين النصوص
المختلفة والتوفيق بينها ، دون الرجوع إلى الترجيح ، مادام السبيل إلى
التوفيق ممكنا ، ولا سيما هناك رواية تؤيد هذا الجمع ، وهي مع ضعفها
لا يوجد في إسنادها متهم أو وضاع ، فلا بأس باستئناسها ، وأما كيفية
ذلك فينبغي أن يوكل علمها إلى الله تعالى .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - بعد أن ذكر هذه الأقوال
والأحاديث الدالة عليها - : « فثبت وزن الأعمال ، والعامل ، وصحائف
الأعمال ، وثبت أن الميزان له كفتان ، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من
الكيفيات ، فعلينا الإيمان بالغيب ، كما أخبرنا الصادق - عليه السلام - من
غير زيادة ولا نقصان » (٤) .

* * *

(١) روح المعاني (٨٣/٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٠٢/٢) .

(٣) النهاية - الفتن والملاحم (٢٩/٢) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٢ - ٤٧٥) ، وهناك مباحث أخرى

تتعلق بالميزان . منها : الحكمة في نصبه . وستأتي عند المؤلف في هذا الكتاب .

المبحث الأول ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد .

نسبه : الكرمي ، نسبة إلى طوركرم ^(١) ، المقدسي ، نسبة إلى بيت المقدس ، الأزهري ، نسبة إلى الجامع الأزهر ، الحنبلي ، نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

لقبه : زين الدين .

كنيته : لم تذكر .

ولادته : لم تشر المصادر إلى تاريخ ميلاده ، وكذلك لم تحدد عدد سني عمره حين وفاته ، إلا أن جميل القراعة رجح أنه ولد في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، لأنه يوجد فيمن تتلمذ عليه ، ابن أخيه أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ، الذي ولد سنة ألف من الهجرة ، ثم لحق بعمه إلى القاهرة ، مما يرجح أن الشيخ مرعي ولد قبل ابن أخيه هذا ، لأن الغالب أن يأخذ التلميذ عن من هو أكبر منه سناً ^(٢) .

(١) هي قرية في فلسطين ، تقع إلى شمال غرب نابلس ، بينها وبين البحر سهول خصبة . وهي تعرف اليوم عند أهل فلسطين بـ « طول كرم » ، انظر مقدمة شعيب الأرناؤوط على أقاويل الثقات (ص ٢٩) .

(٢) انظر رسالة القراعة (ص ١) . وراجع أيضا خلاصة الأثر (٣٦٧/٤) .

دراسته :

كذلك لم تحدث المصادر شيئا مما يتعلق بصباه ودراسته الأولية ،
ولابد أن يكون قد قضى صباه في تلقي العلم والأخذ من مشايخ بلدته ،
حتى صار أهلا لأن يخرج في رحلة لطلب العلم وزيادة الثقافة .

رحلاته :

حينما أكمل المؤلف - رحمه الله - دراسته في بلدته طوركرم ،
خرج منها لتلقي العلوم والمعارف من مشايخ آخرين ، فارتحل إلى بيت
المقدس ، ومنها إلى مصر ، حيث توطن فيها ، وأخذ على كثير من
مشايخها ، وقد كان الأزهر - منذ زمن غير يسير - أكبر ملتقى للعلماء
والمشايخ ، مما جعله أن أثر البقاء فيها ينهل من مناهلهم ، ويستقي من
علومهم ، وبقي فيها إلى أن توفي ، وألف أكثر مؤلفاته فيها ، وبالذات في
الجامع الأزهر ، كما نص على ذلك في كثير منها (١) .

شيوخه :

أخذ المصنف عن كثير من مشايخ عصره في فلسطين ومصر .
ففي القدس : أخذ الفقه عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن
القاضي يحيى بن موسى الحجاوي .

وفي مصر : أخذ الحديث والتفسير عن محمد بن عبد الله

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد : السوابق ١٩٧ .

وانظر أيضا مقدمة الأرنؤوط (ص ٢٩) .

القلقشندي المعروف بمحمد حجازي الواعظ ، والمحقق أحمد بن محمد الغنيمي ، وكثير من المشايخ المصريين ^(١) .

عقيدته ومذهبه :

قال شعيب الأرناؤوط : « وكان الشيخ في الاعتقاد والأصول على مذهب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - من التسليم المطلق للنصوص ، وعدم تأويلها وصرفها عن ظاهرها . كما يظهر جليا في كتابه الذي بين يديك » - أي : أقاويل الثقات ^(٢) .

وكذا توصل إليه جميل القارعة في دراسته عن المؤلف ^(٣) ، إلا أنه يستحسن في بعض الأحيان قول المؤولة في بعض الصفات ، ويجعل أحيانا رأي السلف أن الظاهر غير مراد ، وأنهم كانوا يفوضون علم المعنى المراد إلى الله تعالى ^(٤) .

ويبدو لي - والله أعلم - أن المؤلف كثير النقل عن السابقين من أمثال الرازي ، والنووي ، والسيوطي ... وغيرهم . فلعله تطرأ عليه هيتهم العلمية في بعض المرات .

وأما مذهبه في الفروع ، فكان حنبليا ، ونقل الزركلي عن عبد الله البسام : « أنه كان مقلدا متقيدا ، لا يخرج عن المذهب الحنبلي قيد

(١) انظر النعت الأكمل (ص ١٩١) .

ومقدمة الأرناؤوط (ص ٢٩) ، ورسالة القارعة (٢ - ٩) .

(٢) مقدمة الأرناؤوط (ص ٣٠) .

(٣) انظر رسالته (ص ١٠) .

(٤) انظر المرجع السابق (ص ٣٦ ، ٣٩) .

شجرة واحدة» (١). وله مقام في المذهب ، حيث يعد من أكبر علماء الحنابلة في زمنه ، وله مؤلفات في الفقه الحنبلي ، لاقت القبول والاستحسان من قبل علماء المذهب في عصره وبعده ، وسارت بتأليفه الركبان ، منها كتابه : « دليل الطالب » ، وكتابه : « غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى » . وهما من المراجع المعتمدة والمتداولة في المذهب ، بحيث اعتنى بهما الحنابلة عناية كبيرة ، وكتب عليهما كثير من الشروح والحواشي ، فمن شروح دليل الطالب شرح منار السبيل للضويان ، ومن حواشيه حاشية أحمد عوض المرداوي ، ومن شروح الثاني : « مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي » ..

ومما يدل على شدة تعلق المؤلف بالمذهب الحنبلي . قوله :
 « لئن قلد الناس الأئمة إنني لفي مذهب الخبر ابن حنبل راغب
 أقلد فتواه وأعشق قوله وللناس فيما يعشقون مذاهب (٢) »
 وقال فيه المحبي : « أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر » (٣) .
 وكذا قال فيه ابن حميد ... وغيره (٤) .

علمه وثقافته :

كان المؤلف - رحمه الله تعالى - من العلماء الذين لهم مشاركة

(١) الأعلام للزركلي (٧ / ٢٠٤ / هامش) .

(٢) خلاصة الأثر (٤ / ٣٦٠) .

(٣) المصدر السابق (٤ / ٣٥٨) .

(٤) انظر السحب الوابلة (٣٠٤ / نقلا عن القرارة) . وأيضا معجم المؤلفين

(٢١٨ / ١٢) .

في أكثر من فن ، إذ برز في ميادين شتى من العلم والمعرفة . وقد وصفه المحبي بقوله : « كان إماما محدثا ، فقيها ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ، ودقائق الحديث ، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة » ^(١) . ونقله عن المحبي ، صاحب النعت الأكمل وأقره ^(٢) .

ووصفه الزركلي بقوله : « مؤرخ أديب من كبار الفقهاء » ^(٣) .

وقال رضا كحالة : « محدث فقيه ، مؤرخ أديب » ^(٤) .

وعندما ينظر المرء في قائمة مؤلفاته ، لا يسعه إلا الاعتراف والتسليم له بمشاركته في فنون عديدة ، ففيها ما يتعلق بالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأدب ، والإنشاء ... وغيرها من الفنون .

ولعل ابن حميد أنصف . إذ قال فيه : « العلامة ، البحر الفهامة ، المدقق المحقق ، المفسر المحدث ، الفقيه الأصولي النحوي ... » ^(٥) .

ثناء العلماء عليه :

وقد نعته صاحب كتاب : « النعت الأكمل » . فقال : « شيخ مشايخ الإسلام ، أوجد العلماء المحققين الأعلام ، وأحد عصره وأوانه ، ووحيد دهره وزمانه ، صاحب التأليف العديدة ، والفوائد الفريدة ، والتحريرات المفيدة ، خاتمة أعيان العلماء المتأخرين ... » . ثم أطنب في

(١) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) .

(٢) النعت الأكمل (ص ١٩١) .

(٣) الأعلام (٢٣/٧) .

(٤) معجم المؤلفين (٢١٨/١٢) .

(٥) السحب الوابلة (٣٠٤) نقلا عن القرارة .

الثناء ، وأطال في الإطراء ، وإسباغ الألقاب ، والأوصاف الحميدة عليه ، ومدحه بأبيات شعرية ، ومطلعها :

« حوى السبق في كل المعارف باله إمام همام حاز كلّ العوارف » (١)

وتقدم عن ابن حميد أنه وصفه بقوله : « العالم العلامة ، البحر الفهامة ، المدقق المحقق » .

وقال فيه ابن بشر : « الشيخ العالم ، العلامة ، كانت له اليد الطولى في الفقه وغيره » (٢) .

المناصب التي تولّاها المؤلف :

كان المؤلف - رحمه الله تعالى - يتمتع برغبة صادقة في طلب العلم والمعرفة ، وهمة عالية ، وحافضة قوية ، مما جعله بعد انتهائه من الأخذ على المشايخ ، يقضي أيامه في التصنيف والتحقيق والإفتاء والتدريس ، وأتاح له ذلك أن يتولى بعض المناصب العلمية التي تليق بمكانته . منها :

١ - تصدره للتدريس في الجامع الأزهر (وكان مما تولى تدريسه : القرآن وتفسيره) (٣) .

٢ - قيامه بتدريس الفقه الحنبلي بجامع ابن طولون بالقاهرة (٤) .

(١) النعت الأكمل (ص ١٩٠) .

(٢) عنوان المجد : السوابق : ١٩٧ .

(٣) أضواء الشريعة (ص ١٩٤) . وأيضاً النعت الأكمل (ص ١٩١) .

(٤) انظر عنوان المجد : السوابق ١٩٧ .

٣ - تولى مشيخة جامع السلطان حسن بالقاهرة . إلى أن أخذها عنه معاصره العلامة إبراهيم الميموني ، وكان قد وقع بينهما من المشاحنات ما يقع بين الأقران ، وكانت الغلبة للميموني ، فأخذ المشيخة من المؤلف (١) .

تلاميذه :

صرح شعيب الأرناؤوط في مقدمته : لأقويل الثقات : « بأنه لم يقف فيما بين يديه من مصادر ترجمة المؤلف على ذكر لتلاميذه ، مع أنه كان متصدرا للتدريس » (٢) .

وكذا صرح جميل القارعة بأن الذين ترجموا له لم يذكروا أسماء تلاميذه ، إلا أنه استطاع - بعد البحث في تراجم معاصريه من علماء الحنابلة - العثور على شخصين قد نص في ترجمتهما أنهما أخذوا على مرعي بن يوسف :

أحدهما : ابن أخيه : أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي .

والثاني : محمد بن موسى الحسيني الجمازي (٣) .

وليس من المعقول أن يكون هذان الشخصان فقط أخذوا من المصنف ، وكان قد تصدر للتدريس في الجامع الأزهر ، وتولي مشيخة

(١) انظر النعت الأكمل (ص ١٩١) . ورسالة القارعة (ص ١٢) .

(٢) (ص ٣١ هامش) .

(٣) انظر رسالته (ص ١٣) .

جامع السلطان حسن ، بل لابد أن يكون له تلاميذ كثيرون ، أخذوا عنه ، وانتفعوا به ، ولكن أغفلتهم كتب التراجم المعنية ، بسبب أو آخر . والله أعلم .

مؤلفاته :

قال الغزي - صاحب النعت الأكمل - : « وكان - أي المؤلف - منهمكا على العلوم انهماكا كلياً ، قطع زمانه بالإفتاء والتدريس ، والتحقيق والتصنيف » ^(١) . وكان من نتيجة هذا الانهماك أن ترك وراءه عددا كبيرا من المؤلفات في مختلف ميادين العلم والمعرفة ، فإنها تتناول الحديث ، والتفسير ، والتوحيد ، والفقه ، والفرائض ، والأصول ، والنحو ، والتاريخ ، والوعظ ، والأدب ، والإنشاء ، ... وغيرها . مما يدل دلالة واضحة على التنوع والثراء في ثقافة المصنف ، وعلى أنه كان صاحب نفس طويل في البحث ، وصاحب روح تتعشق العلم .

ومما يلاحظ في مؤلفاته أنها كتب لها القبول والاستحسان ، من قبل طلاب العلم ، بحيث إنها انتشرت انتشارا واسعا في أرجاء مختلفة من العالم ، فتوجد بعض هذه المؤلفات ، أو نسخ منها ، في مصر ، وبعضها في العراق ، وبعضها في الشام ، وبعضها في المغرب ، وبعضها في الهند ، وبعضها في الدول الغربية ، وقد أشار إلى هذا المحبي حين قال : « وقد سارت بتأليفه الركبان » ^(٢) . وتابعه على ذلك الغزي . وزاد عليه . فقال : « فسارت بتأليفه الركبان ، ومع كثرة أصداده وأعدائه ، ما أمكن أحد أن يطعن فيها ولا أن ينظر بعين الإزراء إليها » . ثم صرح بكثرة

(١) النعت الأكمل (ص ١٩١) .

(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) .

مؤلفاته وغزارتها (١) . وقد أوصل المحبي ما خلف المؤلف من ورائه من مؤلفات إلى سبعين كتابا (٢) ، وتابعه على ذلك صاحب السحب الوابلة (٣) ، على أنهما فاتهما عدد منها ، وقد ذكر شعيب الأرناؤوط قائمة مؤلفاته - المطبوعات منها على حدة ، والمخطوطات على حدة ، والتي لم يقف على نسخة منها على حدة - فوصلت المطبوعات إلى ستة كتب ، والمخطوطات إلى ٣٥ كتابا ، والتي لم يقف على نسخة منها إلى ٣٩ كتابا ، فصار المجموع : ٨٠ كتابا .

وأنا أكتفي بذكر المطبوعات ، وأحيل القاريء الذي يريد المزيد إلى مقدمة شعيب الأرناؤوط (٤) ورسالة جميل القارعة (٥) .

وأما التي تم طبعها من مؤلفات الشيخ مرعي . فهي :

١ - دليل الطالب لنيل المطالب ، اختصره من كتاب « منتهى الإرادات لتقي الدين بن النجار الحنبلي ، وعني به متأخروا الحنابلة عناية فائقة ، وطبع في دمشق ، المكتب الإسلامي سنة ١٩٦١ م . وله شروح وعليه حواشي كثيرة .

٢ - غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى . طبع في دمشق عام ١٩٥٩ م . في ثلاثة أجزاء .

(١) النعت الأكمل (ص ١٩١) .

(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤ - ٣٦٠) .

(٣) السحب الوابلة (٣٠٤ - ٣٠٧) . نقلا عن القارعة .

(٤) ص : ٣٢ - ٤١ .

(٥) ص : ٢٦ - ٣٤ .

٣ - الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة . طبع بتحقيق محمد الصباغ في المكتب الإسلامي .

٤ - الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية . طبع بتحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، في مؤسسة الرسالة ودار الفرقان عام ١٩٨٤ م .

٥ - الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية . وهي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية . جمعها من كتب مختلفة في مناقبه . طبع في مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٦ - بديع الإنشاء والمراسلات . ويعرف بـ « إنشاء مرعي » . طبع عدة مرات .

وفاته :

توفي المؤلف - رحمه الله تعالى - بمصر في شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٣ من الهجرة النبوية .

* * *

المبحث الثاني دراسة الكتاب والنسخ الخطية

اسم الكتاب :

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان » .

هكذا ورد اسمه في الورقة الأولى في جميع النسخ للكتاب ، وبه صرح المؤلف في خطبة الكتاب ، وبهذا الاسم ذكره من ترجم له ، وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته (١) .

توثيق نسبته إلى المؤلف :

هناك عدّة أمور تؤكد صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف . منها : أنه ورد التصريح باسمه أثناء خطبة الكتاب . ومنها أن المؤلف أحال بعض القضايا في هذا الكتاب إلى بعض مؤلفاته الأخرى ، وعند الرجوع تبين صحة هذه الإحالة .

ومن ذلك أنه تعرض في هذا الكتاب لذكر الأحاديث التي وردت في أناس يدخلون الجنة بغير حساب ، فذكر بعض الأحاديث . ثم قال : « إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في بهجة الناظرين وآيات المستدلين » (٢) .

(١) انظر علي سبيل المثال : « النعت الأكمل (ص ١٩٢) .

(٢) انظر ص : ٧٥ .

ويظهر عند الرجوع إلى هذا الكتاب أن المؤلف عقد فصلا وترجم له بقوله : « فصل فيمن يدخل الجنة بغير حساب » . وسرد تحت هذا الفصل عددا كبيرا من الأحاديث المتعلقة بمن يدخل الجنة بغير حساب (١) .

ومنها أيضا أن المؤلف تعرض في موسوعته الكبرى « بهجة الناظرين وآيات المستدلين » : لقضية الميزان ، ويوجد تشابه كبير بين أسلوبه في هذه الرسالة وبين أسلوبه فيما أودعه تحت هذه المسألة في الكتاب المذكور في إيراد المواد العلمية ، وسرد الأدلة ومناقشة الآراء ، بل يوجد أيضا في بعض الأحيان توافق بين العبارات ، ولا يعني هذا أن الرسالة التي نحن بصدد تحقيقها هي نفس ما أودعه المؤلف تحت فصل « الميزان في بهجة الناظرين » . بل العكس فإنها تأليف مستقل - كما يتضح ذلك مما جاء في بدايتها - ويوجد تباين واضح بين المنهجين اللذين اختارهما في كل منهما ، كما أنه تعرض في هذه الرسالة لما لم يتعرض له تحت فصل « الميزان في بهجة الناظرين » . وتعرض فيه لما لم يتعرض له في هذه الرسالة . ومن ذلك على سبيل المثال : أنه تعرض في الرسالة لتفسير بعض الآيات الواردة في الميزان تفسيراً شاملاً ، وهذا لم يفعله في بهجة الناظرين . كما أنه تعرض في موسوعته المذكورة لذكر اختلاف العلماء في المسئول عنه ، ولم يتعرض له في هذه الرسالة (٢) .

منهج المؤلف في تأليف هذه الرسالة :

يبدو للناظر في هذه الرسالة من أول وهلة ، أن المؤلف نهج في

(١) انظر بهجة الناظرين (ق ١٥٥ / ب) .

(٢) انظر بهجة الناظرين (ق ١٤٩ / أ) .

تأليفها منهج المفسرين ، فإنه أخذ آية من الآيات الواردة في الميزان ، ألا وهي : قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (١) .

وركز على تفسير هذه الآية تفسيراً شاملاً وموضوعياً (٢) ، واعتمد في ذلك على المفسرين اعتماداً كاملاً ، وتعرض أثناء ذلك لمباحث تتعلق بالميزان . منها : « أنه ذكر اختلاف العلماء في إثبات الميزان ، وماورد في عظمته وصفته وصاحبه من آثار ، ثم اختلاف العلماء في أن الميزان واحد أم متعدد ، واختلافهم في الموزون ، وكذلك اختلافهم في وزن أعمال الكافرين ، والحكمة في وزن الأعمال ، وهل الميزان في حق كل شخص واحد ؟ » .

هذا من ناحية المواد العلمية . وأما من ناحية الشكل وترتيب المواد العلمية ، فتراه أنه قسم الرسالة إلى خطبة . وصف فيها - بعد الحمدلة والصلاة والتسليم - الرسالة بأنها فرائد تسر المحبين ، وفوائد تسيء الحاسدين ، يطمئن بما فيها موافياً من المؤمنين ، تتعلق بالكلام على قول رب العالمين ﴿ ونضع الموازين القسط ... الآية ﴾ . ثم ذكر تسمية الكتاب .

وإلى مقدمة وصفها بأنها في إعراب هذه الآية (٣) .

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) وقد وصف هو بنفسه الرسالة بأنها تتعلق بالكلام على قول رب العالمين : ﴿ ونضع الموازين القسط ... الآية ﴾ .

(٣) الواقع أنها ليست في إعراب الآية فقط . بل في إعرابها ، وبيان مفرداتها ، وتفسيرها تفسيراً كاملاً .

ولإي خاتمة تكلم فيها على سرعة الحساب ، مع كثرة عدد الخلائق وكثرة أعمالهم .

وأثناء تفسيره للآية تعرض للمباحث المذكورة سابقا ، دون أن يعقد لها فصلا ، أو مبحثا ، أو يعطي لها عنوانا بارزا - ماعدا ثلاثة منها - فقد أعطى لها عنوانا . أولها : عظم الميزان . والثاني : صفة الميزان ، والثالث : صاحب الميزان . وأما البقية فلم يذكر لها عنوانا . وهذا يعني أن الكتاب يشتمل على خطبة ومقدمة وخاتمة .

مصادر المؤلف في الرسالة :

سبق البيان بأن المؤلف غلب عليه منهج المفسرين في تأليفه ، وبالفعل اعتمد كثيرا على المفسرين ، ولاسيما الفخر الرازي ، والثعلبي . كما أنه استمد أيضا مواده العلمية من ابن عطية - صاحب المحرر الوجيز - وأبي إسحاق الزجاج - صاحب معاني القرآن وإعرابه - ، والزنجشري ... وغيرهم من المفسرين ، وهذا لا يعني أنه قصر اعتماده على كتب التفسير وأصحابها فقط ، بل اعتمد أيضا في تأليفه لهذه الرسالة على كتب الأمهات في السنة ، التي تعني برواية الأحاديث بالإسناد ، وعلى رأسها الصحيحان والسنن الأربعة ، والمستدرك ، والحاكم ، وصحيح ابن حبان ، وكتب البيهقي ، والدارقطني ، والطبراني ، وابن أبي الدنيا ... وغيرهم من المحدثين . وذلك لأن أحسن ما يفسر به كلام الله تعالى ، هو كلام الله تعالى نفسه . فإنه أعلم بمراده من غيره ، ثم كلام رسول الله - ﷺ - الذي نزل عليه ، وهو أعلم الخلق بمراد كلام الله تعالى .

ثم إن المؤلف استمد أيضا من الكتب المعنية بالموضوع . مثل : « التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة للقرطبي » ، و « الدرة الفاخرة في

كشفت علوم الآخرة للغزائي » ، وعلى كتب علم الكلام . مثل : « بحر الكلام للنسفي » ، وكتب التصوف ، أو بعض المتصوفين .
ولم يكن اعتماد المؤلف في تأليفه على مجرد النقل فقط ، بل أظهر شخصيته في ترتيب المواد العلمية ومناقشة الأدلة ، وترجيح الآراء والتعقيب على السابقين .

أهمية الكتاب :

تأتي أهمية الكتاب من جهة أنه منفرد في هذا الباب ، إذ لم أطلع - حسب علمي الناقص - على مؤلف صغير مثل هذا ، يشتمل على جل المباحث المتعلقة بالميزان ، إن لم نقل على كلها .

بعض الملاحظات على الكتاب :

رغم ما للكتاب من أهمية ، فإن لي بعض الملاحظات على المؤلف - مع اعترافي بقلّة العلم - أولى هذه الملاحظات على تسمية الكتاب : « تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان » . فهذه التسمية أكبر من محتويات الكتاب ، لأن الكتاب يتعلق بالكلام على آية من الآيات الواردة في الميزان ، وقد صرح به المؤلف نفسه ، ومن المعلوم أن هذه الآية ليست وحدها تدل على إثبات الميزان ، والتسمية تقتضي إيراد جميع الأدلة من الكتاب والسنة ، أو أغلبها .

والملاحظة الثانية : أن المؤلف أورد من الأحاديث والآثار ما هو ضعيف أو باطل ، وسيوضح ذلك أثناء تخريج الأحاديث والكلام عليه .

والملاحظة الثالثة : أن المؤلف اعتمد على بعض الأخبار الإسرائيلية وكذلك على كلام بعض المتصوفين ، ونحن في غنى عنها .

والملاحظة الرابعة : أن المؤلف لم يراع الدقة والعناية الكاملة في تقسيم الكتاب ، حيث إنه قسمه إلى : مقدمة ، وخاتمة . دون تصريح بالأبواب أو الفصول . أو نحوهما .

دراسة النسخ الخطية :

توفرت لي نسختان من الكتاب . وهناك نسخة ثالثة ذكرها شعيب الأرناؤوط في مقدمته على كتاب أقاويل الثقات . وهي نسخة باريس (١) . ولم أتمكن من الحصول عليها .

وأما النسختان . فأحدهما محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٨٠/٢٧ . ضمن مجموعة من كتب المؤلف ، وعدد أوراقها : ٢٤ ورقة ذات وجهين بحجم صغير ، تبدأ من ق ١٨ وتنتهي إلى ق ٤١ . وعدد الأسطر في كل ورقة ٩ أسطر . وعدد الكلمات : في كل سطر ما بين خمس وست كلمات . مقاسها : ١٢×٨ سم . وخطها : نسخي واضح جدا ومزخرف . تاريخ نسخها - وقد جاء في آخر النسخة - : « وكان الفراغ من كتابته نهار السبت المبارك في السادس والعشرين من شهر رجب المبارك سنة تسع وعشرين وألف . وأثبت في آخرها - في الهامش - : « بلغ مقابلة بنفس مؤلفه ، ومر عليه مرور تصحيح » .

ولم يذكر اسم الناسخ ، ويبدو أنه كان من أهل العلم ، حيث علق على المؤلف في بعض الأماكن .

وأثبت في الورقة الأولى من هذه النسخة بعد اسم الكتاب : « أمر برقمه مصنفه الفقير إلى الله تعالى مرعي الحنبلي المقدسي برسم مولانا سليمان أغا » . ثم كلام مسجع في الدعاء له .

وقد اعتمدت على هذه النسخة في نسخ نصوص الكتاب .
ورمزت لها بـ « م » .

وأما النسخة الثانية : فهي محفوظة بمكتبة خدابخش بتنبه بالهند تحت رقم (٤٢٨/٢) . وهي أيضا ضمن مجموعة من كتب المؤلف . عدد أوراقها : ٧ أوراق ذات وجهين بحجم كبير . تبدأ من ق ٨٢ وتنتهي إلى ق ٨٨ . وتوجد صورة منها في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية . عدد الأسطر : في كل ورقة ٢٣ سطر . عدد الكلمات : في كل سطر ما بين ٧ - ٩ كلمات . مقاسها : ٢٠×١٢ سم . خطها : نسخي دقيق . ورمزت لها بـ « ب » .

المبحث الثالث منهجي في التحقيق

وقد جعلت نسخة «م» نسخة الأم ، لأنها كتبت في عهد المؤلف ، وتمت مقابلتها عليه ، ومر عليها مرور تصحيح ، كما أثبت في آخرها .

فاعتمدت عليها في نسخة نصوص الكتاب ، ثم قابلتها على نسخة « ب » ، وأثبت الفروق بينهما في الهامش ، وحاولت إخراجها - بكل ما في وسعي - علي صورة صحيحة وقرينة مما وضع عليه المؤلف هذا الكتاب .

وعزوت الآيات القرآنية إلى سورها ورقمها .

وخرجت الأحاديث والآثار من المصادر المعتبرة ، وبينت درجتها - إن لم تكن من أحاديث الصحيحين - في ضوء أقوال العلماء .

وعزوت كل نص من النصوص الواردة في الكتاب إلى مصدره ، أن لم يصرح المؤلف بالمصدر ، وإذا صرح بالمصدر أحدد موضعه ببيان الصفحة والمجلد إذا كان له أكثر من مجلد ، بشرط أن يوجد ذلك المصدر وأهتدي إليه .

وترجمت للأعلام دون الصحابة ، ترجمة موجزة لا تتجاوز عن سطر أو سطرين .

وشرحت الكلمات الغريبة من كتب المعاجم المعتبرة ، وعلقت
على المواضع التي تحتاج إلى تعليق من ترجيح أو تعقيب .
وجعلت للكتاب فهارس :

- فهرس للآيات
- فهرس للأحاديث .
- فهرس للآثار .
- فهرس للأعلام المترجم لهم .
- فهرس للمصادر والمراجع .
- فهرس للموضوعات .

* * *

كتاب تحقيق البرهان

في بيان حقيقة البرهان

أمر وقد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

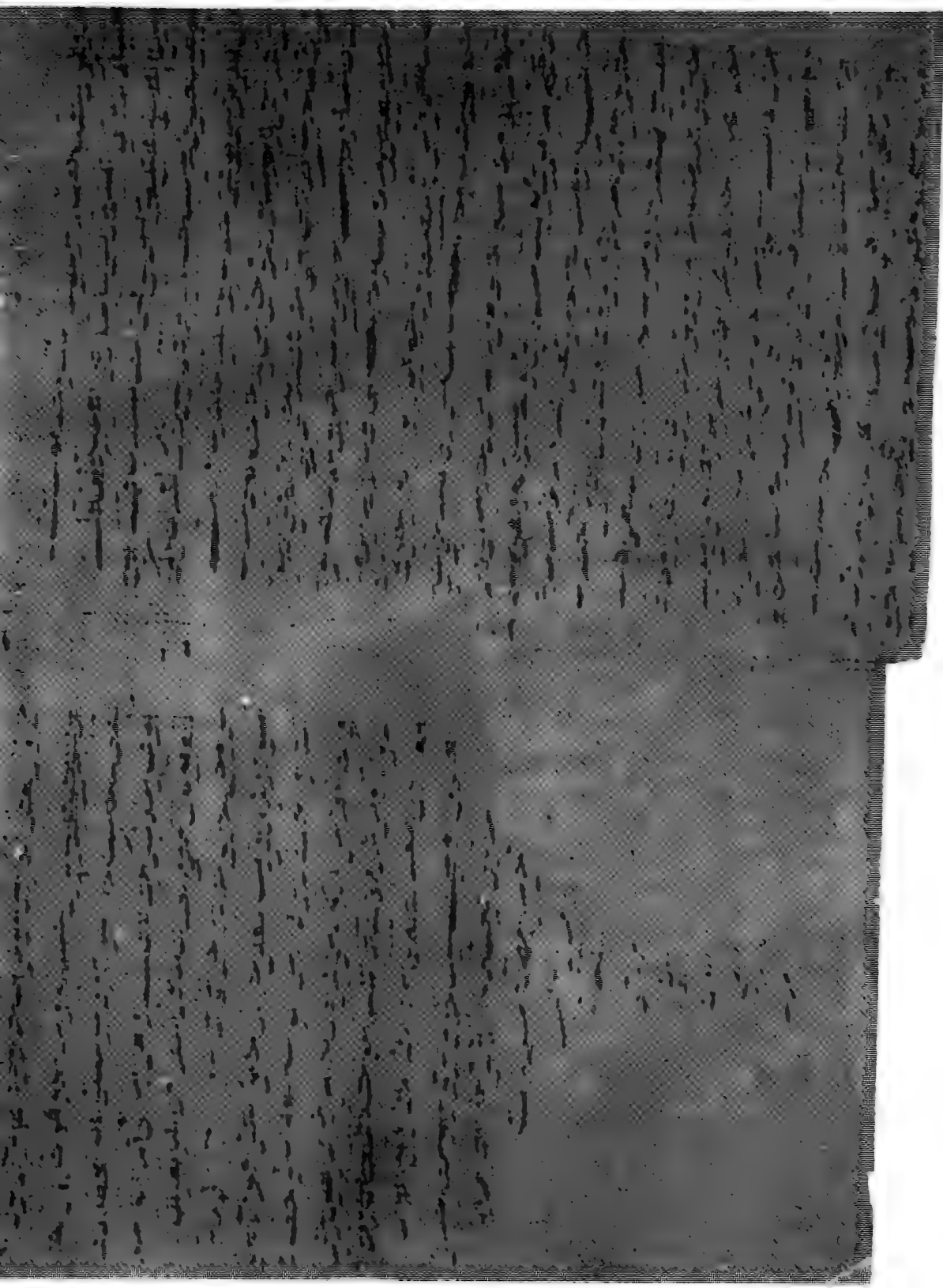
أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

بأنه لا يمكن أن يكون

أمر قد مضى في بيان حقيقة البرهان

يا ابا عبد الله
 لا يجوز ان يارجل منكم يوالى الله فوقيه
 فيكون حسيبنا له ونسيبنا له وهو يظن انه
 حالي كما حاسبنا حنا سواء وقد حوينا
 الى الله العبد الذي لا يوالى الله ولا يحسن
 فيه هو لعل البصر فينا وقرية فيفوز
 ان يفتي الحساير كما قال الله في كتابه
 فيمن يوالى الله عز وجل اعداء الله
 على اعدائهم ووالى الله اعداء الله

وقد اوتيت في هذا بابا في هذا باب
 فليس هو الا ان تصدقوا به تنفكوا من الله
 من الوالين وانتم في حلاله واحد
 فوالين والفسكلام على هذه الامور
 فما يظن ان يوالى الله يوالى الله
 العبد الذي لا يوالى الله ولا يحسن
 فيمن يوالى الله عز وجل اعداء الله
 على اعدائهم ووالى الله اعداء الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن أسبغ علينا فضله وإنعامه ، وحبانا بمزيد كرمه لطفاً منه وكرامة ، أحمدده حمداً يملأ الميزان ويوازي جبال تهامة ، وأشكره شكر عبد جعل القرآن أمامه ، وقدم الخير أمامه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خائف ذنوبه وآثامه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، المنزل عليه : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ ^(١) ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه ماهطلت ^(٢) غمامة ^(٣) وسجعت ^(٤) حمامة ، وسلم تسليماً . وبعد :

فيقول الفقير مرعي الحنبلي : « هذه فرائد تسر المحبين ، وفوائد تسيء الحاسدين يطمئن بما فيها موافيقها ، من الموقنين ، تتعلق بالكلام على قول رب العالمين : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسيين ﴾ ^(٥) . وسميته :

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) هو من الهطل : وهو تتابع المطر والدمع وسيلانه . يقال : « هطلت السماء تهطل هطلا وهطلانا » . انظر لسان العرب (٦٩٨/١١) .

(٣) الغمامة : بالفتح : السحابة - المصدر السابق (٤٤٣/١٢) .

(٤) سجع الحمامة : موالاة صوتها على طريق واحد . وتقول العرب : « وسجعت الحمامة ، إذا دعت وطربت في صوتها » المصدر السابق (١٥٠/٨) . والمقصود : إلى الأبد .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان »

فأقول - وبالله المستعان ، ومنه أرجو العفو والغفران - :

مقدمة في إعراب : هذه الآية . قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين
لقسط ﴾ أي العدل ^(١) ، وانتصاب القسط على أنه صفة للموازين ، وأفرد
كونه مصدرا ، والمصدر يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ^(٢) ،
المعنى : ونضع موازين العدل ، أو أنه على حذف مضاف : والمعنى ذوات
القسط ^(٣) ، وقيل : منصوب على أنه مفعول لأجله ^(٤) ، وأما قوله تعالى
﴿ ليوم القيامة ﴾ فقول اللام بمعنى « في » وإلى ذلك ذهب ابن مالك ^(٥)

(١) قال الراغب في المفردات (ص ٦٠٨) القسط : النصيب بالعدل ، كالنصف
والنصيفة ، والقسط : بفتح القاف : أن يأخذ قسط غيره ، وذلك جور ، والأقساط أن يعطي
غيره قسطه ، وذلك إنصاف ولذلك قيل : قسط إذا جار وأقسط إذا عدل . انظر أيضا تفسير
الطبري (٣٢/١٧) .

(٢) هو اختيار الفراء والطبري . انظر معاني القرآن (٢٠٥/٢) ، وتفسير الطبري
(٣٣/١٧) . وأيضا تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) ، وفتح الباري (٥٣٨/١٣) .
وذكره الزمخشري وقال : وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها
قسط الكشاف (١٣/٣) .

(٣) هو اختيار أبي إسحاق الزجاج . انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٩٤/٣) وذكره
عنه الرازي ، وابن حجر ، وأورده الزمخشري دون عزو .

(٤) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في المصدر المذكور دون عزو إلى أحد . ويبدو
لي أن الصواب هو القول الأول ، لأنه لا يحتاج إلى تقدير ، ويعرف في كلام العرب الوصف
بالمصدر بكثرة .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الحياي ، نزيل دمشق أحد الأئمة
في العلوم العربية . توفي سنة ٦٧٢ .
شذرات الذهب (٣٣٩/٥) .

وابن قتيبة ^(١) وهو رأي الكوفيين ^(٢) ومنه عندهم (لا يجليها لوقتها
إلا هو) ^(٣) وقول الشاعر ^(٤) :

« أولئك قومي قد مضوا لسبيلهم كما قد مضى من قبل عاد وتبع ^(٥) »

وقيل : إنها للتعليل . أي : لأجل حساب أهل يوم القيامة ^(٦) .

وقيل : اللام بمعنى عنده ، والمعنى : عند مجيء يوم القيامة كقوله تعالى :

﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ ^(٧) أي مجيئه ، وقولهم : جئت لخمس خلون

من الشهر ^(٨) ، وأما قوله : ﴿ وإن كان مثقال ﴾ فالضمير يرجع للظلامة

المفهومة من تظلم ^(٩) ، وقيل : يرجع للعمل أي وإن كان العمل مثقال ^(١٠)

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري - صاحب التصانيف . منها :
المعارف ، ثقة ، دين ، فاضل ، مات سنة ٢٧٦ . سير (٢٩٦/١٣) .

(٢) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٣) وعزاه إلى الكوفيين ،
وابن قتيبة ، وابن مالك ، وذكر عنهما الحافظ ابن حجر في : الفتح (٥٣٩/١٣) . وهو
اختيار الفراء أيضا . انظر معاني القرآن (٢٠٥/٢) .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

(٤) هو مسكين الدارمي .

(٥) كذا أورده أبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٣) نقلا عن ابن مالك . وهو
في ديوان مسكين الدارمي (ص ٥٠) . وورد فيه الشطر الثاني هكذا :

..... كما مات لقمان بن عاد وتبع » .

(٦) ذكره أبو حيان والزحشري ، وابن حجر دون عزو إلى أحد .

(٧) سورة ق الآية ٥ .

(٨) هو اختيار الزحشري . انظر الكشف (١٣/٣) .

وذكره عنه أبو حيان ، وذكره الحافظ ابن حجر دون عزو .

(٩) ذكره مكى بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٨٤/٢) . وانظر أيضا

الكشف عن وجوه القراءات السبع (١١١/٢) .

(١٠) إليه ذهب النحاس في إعراب القرآن (٣٧٤/٢) .

وقرأ نافع^(١) مثقال مرفوعاً على أن « كان » تامة^(٢) ، وقوله : ﴿ آتينا بها ﴾ . أي جئنا بها^(٣) ، وقرئ (آتينا)^(٤) بمعنى : جازينا وهو قريب من « أعطينا »^(٥) أو من المواتاة^(٦) ، فإنهم أتوه بالأعمال ، وآتاهم بالجزاء فهو مفاعلة^(٧) ، والضمير في (بها) للمثقال وأنتث لإضافته إلى الجنة^(٨) - وسيأتي الكلام على قوله - : ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ . إذا تقرر هذا فاعلم أن الصحيح عند أهل السنة والجماعة أن المراد بالميزان : الميزان الحقيقي كما سيأتي ، لأن المراد بالميزان مجرد العدل ، وأن

(١) هو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني . وقيل في كنيته غير ذلك ، أحد القراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح . توفي سنة ١٦٩ هـ . وقيل : غير ذلك . غاية النهاية (٣٣٠/٢) .

(٢) ذكر هذه القراءة مكّي بن أبي طالب في الكشف (١١١/٢) عن نافع ، وعزا القراءة بالنصب إلى باقي القراء السبعة .

(٣) هذا المعنى على قراءة الجمهور ، لأنهم قرأوا (آتينا) من الإتيان . انظر البحر المحيط (٣١٦/٦) .

(٤) عزا هذه القراءة أبو حيان إلى ابن عباس ، ومجاهد ، والعلاء ، وابن شريح ... وغيرهم .

(٥) أشار أبو حيان إلى هذا القول وضعفه . حيث قال : « ولو كان على أفعلنا من الإتياء بالمد على ماتوهم بعضهم لتعدي مطلقاً دون جار » قاله أبو الفضل الرازي . (٦) في النسختين : المواطة . وهو خطأ . والصواب : ما أثبتته ، لأن الفعل منه « آتينا » .

(٧) هكذا قال الزمخشري في الكشاف (١٣/٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٦) . وقد ضعف ابن عطية هذه القراءة سواء كان « آتينا » من الإتياء ، أو من المواتاة ، فإنه قال - كما نقل عنه أبو حيان - : « لو كان « آتينا » أعطينا ، لما تعدت بحرف جر ، ويوهن هذه القراءة أن بدل الواو المفتوحة همزة ، ليس بمعروف ، وإنما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة .

(٨) كذا قال ابن جرير في تفسيره (٣٤/١٠) . وغيره من المفسرين .

وضع الموازين يوم القيامة كناية ، وتمثيل لإرصاد ^(١) الحساب السوي ،
والجزاء على حسب الأعمال بالعدل ^(٢) .

وإلى ذلك ذهب المعتزلة ، وأنكروا الميزان محتجين بأن الأعمال
أعراض إن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها ، ولأنها معلومة لله تعالى فوزنها
عبث ^(٣) . والجواب أنه قد ورد في الحديث أن كتب الأعمال هي التي
توزن ^(٤) ، ولعل في الوزن حكمة ^(٥) لا نطلع عليها ، وعدم اطلاعنا
على الحكمة لا يوجب العبث ، ونقل عن مجاهد ^(٦) أن المراد بالميزان
العدل ^(٧) . قال الفخر ^(٨) : ويروى مثله عن قتادة ^(٩)

- (١) هو من أرصد له الأمر . أي : أعدّه . لسان العرب (١٧٧/٣) .
(٢) يبدو أن هذا الكلام منقول من الزمخشري . راجع الكشف (١٣/٣) .
(٣) تقدم ذكر من أنكروا الميزان بشيء من التفصيل مع بيان أدلتهم في المقدمة .
(٤) لعله يقصد بذلك الحديث الذي ذكره نقلا عن الفخر الرازي . وهو سيأتي
في (ص ٥٩) . ولم أجد من رواه . وهناك أحاديث أخرى تدل على أن الصحائف التي
فيها أعمال العباد توزن ، كما أن هناك أحاديث غيرها تدل على أن الأعمال توزن . تقدم
التفصيل في ذلك في المقدمة .
(٥) أشار بعض العلماء إلى ما يوجد في نصب الميزان من بعض الحكم . سيأتي
ذكرها عند المؤلف في (ص ٦٥) . منها إظهار كمال عدل الله تعالى .
(٦) هو ابن جبر أبو الحجاج المكي ، ثقة ، إمام في التفسير ، وفي العلم مات سنة
١٠١ هـ . وقيل : غير ذلك . تقريب (٣٢٨) .
(٧) رواه ابن جرير في تفسيره (٣٣/١٧) من طريق ليث عنه . وروى أيضا من
طريق آخر عن ابن أبي نجيح عنه . أنه قال في تفسير الآية : « إنما هو مثل » ...
(٨) هو محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله فخر الدين . المعروف بالفخر
الرازي . له مشاركة في علوم عديدة . توفي سنة ٦٠٦ هـ .
انظر سير (٥٠٠/٢١) .
(٩) هو ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري . ثقة ، ثبت ، مات سنة بضعة
عشرة ومائة . تقريب (٢٨١) .

والضحك^(١) ، وقال : وحكاه ابن جبير^(٢) عن ابن عباس ، وبه قال الأعمش^(٣) ، وكثير من المتأخرين^(٤) . وردّه الإمام الفخر ، وقال : إن حمل الموازين على مجرد العدل ، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز ، لا سيّما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب^(٥) .

قال الإمام الفخر في تفسير هذه الآية : « إن قول أئمة السلف إنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ليزن بها الأعمال »^(٦) ، قال : « وعن الحسن^(٧) : هو ميزان له كفتان ولسان ، وهو بيد

(١) هو ابن مزاحم الهلالي . صدوق ، كثير الإرسال . توفي بعد المائة . تقريب (ص ١٥٥) .

(٢) هكذا ورد في النسختين . وابن جبير هو : سعيد بن جبير الكوفي ، ثقة ، ثبت ، فقيه . قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ . تقريب (ص ١٢٠) - ويبدو أنه خطأ - والذي ورد في تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) هو : أن الرازي ذكر هذا القول عن مجاهد ، وقتادة ، والضحك . ثم قال - مبينا لمعنى الآية على هذا القول - : « والمعنى : بالوزن القسط بينهم في الأعمال ، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ، ثقلت موازينه ، يعني أن حسناته تذهب بسيئاته ... » إلى أن قال : « ... حكاه ابن جرير هكذا عن ابن عباد » . قلت : « وهذا الأثر موجود بنصه في تفسير ابن جرير (٣٣/١٧) » رواه من طريق عطية العوفي .

(٣) هو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي . ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءة ، ورع لكنه يدلّس . مات سنة ١٤٧ هـ . تقريب (١٣٦) .

(٤) انظر تفسير الرازي (٢٨/١٤ ، ١٧٦/٢٢) . وقد ذكر هذا القول القرطبي في التذكرة (٣٧٧) . قال : وروى عن مجاهد ، والضحك ، والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء . وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٨/١٣) . إلّا أنه عزاه إلى بعض السلف . وذكر رواية مجاهد .

(٥) انظر قول الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) .

(٦) وكذا ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

(٧) هو ابن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار . ثقة ، فقيه ، فاضل ، مشهور . وكان يرسل كثيرا ، ويدلّس . مات سنة ١١٠ هـ . تقريب (ص ٦٩) .

جبريل عليه السلام (١) ، وأخرج أبو الشيخ (٢) في تفسيره من طريق الكلبي (٣) ، عن ابن عباس قال : « الميزان له لسان وكفتان » (٤) . وأما عظمه فقال الفخر والثعلبي (٥) وغيرهما : روي أن داود - عليه السلام - سأل ربه جلّ جلاله أن يريه الميزان ، فلما رآه غشي عليه ، فلما أفاق قال : « يا إلهي ! من ذا الذي يقدر أن يملأ كفة حسناته ؟ فقال : إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة » (٦) . وقال الفخر في تفسير سورة الأعراف (٧) : « إن عبد الله بن سلام قال : « إن ميزان رب

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في المصدر السابق له دون قوله : « وهو بيد جبريل - عليه السلام - وعزا تخريجه إلى اللالكائي في السنة من طريق عبد الملك بن أبي سليمان » . وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٣) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني . صاحب كتاب العظمة وطبقات المحدثين بأصبهان . ثقة ، توفي سنة ٣٦٩ هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٦) .

(٣) هو محمد بن السائب أبو النضر الكوفي . المفسر ، متهم بالكذب ، ورمي بالرفض . مات سنة ١٤٦ هـ . تقريب (ص ٢٩٨) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٣) . قال : وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله : « والوزن يومئذ الحق » . وقال : « أخبرني أبو صالح عن ابن عباس ... ثم ذكره » وهو ضعيف لأجل الكلبي ، ولم يثبت فيما أعرف ذكر اللسان للميزان فيما صح عن النبي - ﷺ - وإن كان ورد ذكره عند كثير من العلماء .

(٥) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، صاحب التفسير المسمى : « الكشف والبيان » توفي سنة ٤٢٧ هـ . سير (٤٣٧/١٧) .

(٦) انظر تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) ، والكشف والبيان (٥٧/٣) نسخة المحمودية . وذكره البغوي في تفسيره (٢٤٦/٣) . والزنجشري في الكشف (١٣/٣) .

(٧) عند قوله تعالى : « والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » . سورة الأعراف : الآية ٨ .

العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على جهنم ، لو وضعت انسموات والأرض في إحداهما لوسعتن ، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه (١) .

وروى الحاكم (٢) في المستدرک وصححه على شرط مسلم عن (٣) سلمان - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن (٤) . فتقول الملائكة : يارب - لمن يزن هذا ؟ . فيقول الله : لمن شئت من خلقي . فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » (٥) .

وأما صفته . فقال الغزالي (٦) في الدرّة الفاخرة في كشف علوم

(١) انظر تفسير الرازي (٢٨/١٤) . لم أهند إلى من أخرجه مسندا . وذكر القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٨) قريبا من ذلك . قوال : ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول . (٢) هو شيخ المحدثين محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله بن البيع النيسابوري . صاحب المستدرک على الصحيحين توفي سنة ٤٠٥ هـ . سير (١٦٢/١٧) . (٣) هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . صاحب الصحيح المعروف . ثقة ، حافظ ، إمام ، مصنف ، عالم الفقه . توفي سنة ٢٦١ هـ . تقريب (ص ٣٣٥) . (٤) في المستدرک : « لوسعت » .

(٥) انظر الحديث في المستدرک (٥٨٦/٤) . وفي آخره زيادة عن الصراط ، وافق الذهبي الحاكم في تصحيح الحديث على شرط مسلم ، وفيه بعض النظر . وروى الحديث موقوفا على سلمان ، وإسناده صحيح ، وله حكم المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي .

راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٥٦/٢ رقم ٩٤١) . (٦) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي . صاحب إحياء علوم الدين . وعليه بعض المؤاخذات في تصانيفه . توفي سنة ٥٠٥ هـ . سير (٣٢٢/١٩) .

الآخرة ^(١) : « ينصب الميزان وهو كفتان : كفة عن يمين العرش من درة بيضاء . وكفة عن يساره من ظلمة » ^(٢) . وقال في التذكرة للقرطبي ^(٣) : « المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة ، وصغائرهم في الكفة الأخرى ، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا ، وتثقل النيرة حتى لا ترتفع ، وترتفع المظلمة ^(٤) ارتفاع الفارغ الخالي ، وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى ، فلا تقاومها إظهارا لفضل المتقين ، وذلل الكافرين » ^(٥) .

وأما صاحبه ففي الثعلبي ^(٦) وغيره ، وأخرجه في تفسيره ابن جرير ^(٧) ، وابن أبي الدنيا ^(٨) عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : صاحب الميزان يوم القيامة جبريل - عليه السلام - ^(٩) ، وقد مر قريبا قول

(١) ص : ٦٢ .

(٢) لم ينسب هذا القول إلى النبي - ﷺ - ولا غيره . والله أعلم بمدى صحته .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي ، المفسر . صاحب جامع أحكام القرآن . من عباد الله الصالحين . توفي سنة ٦٧١ هـ . الديباج (٣٠٨/٢) .

(٤) في النسختين « الظلمة » . والصواب ما أثبتته ، كذا هو في التذكرة .

(٥) انظر التذكرة (ص ٣٧٩) . وهو منقول بالمعنى ، لا بالنص .

(٦) انظر الكشف والبيان (ق ١٠٢ / ١) نسخة المولوية بحلب .

(٧) هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري . صاحب جامع البيان . وقد

قال فيه الإسفرائيني : « لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا » توفي سنة ٣١٠ هـ . غاية النهاية (١٠٨/٢) .

(٨) هو عبد الله بن محمد بن عبيد أبو بكر البغدادي . صاحب تصانيف .

صدوق حافظ . توفي سنة ٢٨١ هـ . تقريب (ص ١٨٨) .

(٩) رواه ابن أبي الدنيا كما في النهاية لابن كثير (٣٢/٢) ، وابن جرير في تفسيره

(١٢٣/٨) من طريق يوسف بن صهيب ، عن موسى بن أبي المختار عن بلال بن يحيى ،

عن حذيفة . موقفا . بزيادة في آخره .

الفخر عن عبد الله بن سلام ، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه (١) . وقول الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل - عليه السلام (٢) - وفي الثعلبي (٣) عن أنس - رضي الله عنه - أن ملكا من ملائكة الله - عز وجل - موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم ، فيؤتي به حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله ، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل : ألا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خفت موازينه نادى الملك : « ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا » (٤) .

وقد اختلف العلماء . هل الميزان واحد أو أكثر ؟ . فقال الحسن ابن أبي الحسن البصري : « لكل واحد ميزان » (٥) . لقوله تعالى :

= وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩/١٣) . وعزا تخريجه أيضا إلى اللالكائي في السنة . وموسى ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٦٤/٨) دون توثيق أو ترجيح .

(١) (ص ٥٣) .

(٢) (ص ٥٣) .

(٣) لم أهتم إلى موضعه في تفسير الثعلبي . وهو موقوف . وقد روى مرفوعا من حديث أنس . كما سيأتي في آخره .

(٤) أخرجه البزار في مسنده - كما في كشف الأستار (١٦٠/٤) ، وأبو نعيم في

الحلية (١٧٤/٦) من حديث أنس مرفوعا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠/٣)

أيضا إلى ابن مردويه واللالكائي والبيهقي . وقال أبو نعيم : « وتفرد به داود بن الحخير » . وهو متروك

متهم بالكذب . انظر تقريب (ص ٩٧) . وتعليق الألباني على شرح العقيدة الطحاوية (ص

٤٧٤) . وفيه أيضا صالح المري . وهو مجمع على ضعفه . انظر مجمع الزوائد (٣٥٠/١٠) .

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) .

والسفاريني في لوامع الأنوار (١٨٦/٢) . وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٣/١) .

دون عزو إلى أحد ، فقال : « الموازين جمع ميزان » فقيل : « إنه يدل بظاهره على أن لكل

مكلف ميزانا توزن به أعماله ، فتوضع الحسنات في كفة ، والسيئات في كفة » .

﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ ^(١) . وقال بعضهم ^(٢) : « الأظهر إثبات الموازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ قال : « وعلى هذا فلا يبعد أن تكون لأفعال القلوب ميزان ، وللجوارح ميزان ، ولما يتعلق بالقول ميزان ^(٣) ، ولم يرض ابن عطية ^(٤) هذا القول . وقال : إن الناس على خلافه ، وإنما لكل واحد وزن مختص به ، والميزان واحد » ^(٥) .

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) هو الرازي . وقد صرح بذلك في تفسيره (٢٩/١٤) .

(٣) أورده السفاريني بنصه في لوامع الأنوار (١٨٦/٢) نقلا عن ابن عطية ، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٣/١١) . دون تصريح بقائله . قال : « يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد ، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله » . وذكر ابن حجر هذا القول - والذي قبله - في فتح الباري (٥٣٧/١٣) . وعقب عليهما فقال : « فيكون الجمع حقيقة » وهناك أقوال أخرى في هذا الجمع . فقيل : لكل أمة ميزان . ذكره السفاريني . وقيل : للميزان كفتان ، وخيوط ولسان . والشاهين فالجمع يرجع إليها . ذكره القرطبي . وهو قول ضعيف . وقيل : « إن الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميزان ، وأراد بالموازين : الأعمال الموزونة . ذكره الرازي في تفسيره (٢٦/١٤) . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) : « وقد يعبر عن الحسنات بالموازين ، فيكون ذلك على حذف مضاف : أي فمن ثقلت كفة موازينه ، أي : موزوناته ، فيكون موازين جمع موزون لا جمع ميزان . وكذلك : « ومن خفت كفة حسناته » .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن عطية - الدمشقي - مقرر ، مفسر ، إمام ثقة ، صاحب المحرر الوجيز . توفي سنة ٣٨٣ هـ . غاية النهاية (٤٣٣/١) .

(٥) المحرر الوجيز (١٣/٧) . وصرح ابن حجر بأن الذي يترجح أنه ميزان واحد ، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله ، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا . فتح الباري (٥٣٨/١٣) . ووصفه السفاريني بأنه الأشهر . لوامع الأنوار (١٨٦/٢) .

وأجاب بعضهم عن جميع الموازين في الآية بأنها إنما جمعت لكثرة من توزن أعمالهم (١) . أو هو جمع تفخيم (٢) .

واختلف العلماء في الموزون . فقليل : « يوزن العبد مع عمله » (٣) . وقيل : « يجسّد العمل ويوزن » (٤) . قال ابن عباس : يجاء بالحسنات في أحسن صورة ، ويجاء بالسيئات في أقبح صورة (٥) . وقيل : « يوضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة ، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة » (٦) ، والصواب ما صحّحه ابن عبد البر (٧) والقرطبي وغيرهما ، أن الموزون الصّحائف (٨) . قال الإمام

(١) إلى هذا ذهب السفاريني ووصفه بأنه حسن . وقال الحافظ ابن حجر - أثناء ذكره للأقوال - : أو ليس هناك إلا ميزان واحد ، والجمع باعتبار تعدد الأعمال ، أو الأشخاص . ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى : ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ .
(٢) ذكره ابن حجر بلفظ الاحتمال . وأيده بقوله تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ . سورة الشعراء الآية ١٠٥ . فإنه لم يرسل إليهم إلا واحد ، وذكر الجوابين الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) .

(٣) تقدم ذكره مع أدلته في المقدمة .

(٤) تقدم ذكره مع أدلته في المقدمة .

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/٧٨/١) في سياق طويل . وفي سنده الكلبي ، وهو محمد بن السائب . متهم بالوضع ، ورمي بالرفض . تقريب التهذيب (ص ٢٩٨) .

(٦) ذكره الزرخشري في الكشف (١٣/٣) . والرازي في تفسيره (١٧٦/٢٢) إلى أحد . وهو قول ليس عليه دليل من الكتاب والسنة .

(٧) هو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي . صاحب التصانيف الفائقة . توفي سنة ٤٦٣ هـ . سير (١٥٣/١٨) .

(٨) قال القرطبي : والصحيح أن الموازين تنقل بالكتب فيها الأعمال المكتوبة - وبها تحف - كما دلّ عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله - عز وجل - : =

الفخر : إن رسول الله - ﷺ - سئل عما يوزن يوم القيامة . فقال : « الصحف » ^(١) وهو مذهب المفسرين ^(٢) لقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ ^(٣) . فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال ، وحكاة ابن عطية عن أبي المعالي ^(٤) . قال ابن عطية : « وهذا أقربها » ^(٥) .

ونقل المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص . ورواه الترمذي ^(٦)

= « وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين » . سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .
ثم نقل عن ابن عبد البر تصريحه بأن صحائف الأعمال هي التي توزن . انظر التذكرة (ص ٣٧٧) .

ويأتي ذكر بعض الأحاديث المؤيدة لهذا القول - وصوب المؤلف هذا القول في : بهجة الناظرين (ق ١٤٦ / ب) أيضا . كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩ / ١٣) ، لأن الأعمال أعراض لا توصف بثقل وخفة . ووصف السفاريني هذا القول بأنه الحق . لوامع الأنوار (١٨٧ / ٢) .

(١) انظر تفسير الرازي (٢٧ / ١٤ ، ٢٨) .

ولم أهتم إلى من روى هذا الحديث . كما أنني لم أعرف درجته .

(٢) عزاه السفاريني إلى جمهور من المفسرين .

(٣) سورة الأعراف الآية ٨ .

(٤) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني . صاحب التصانيف . وكان يستروح إلى التأويل في صفات الرب تعالى ، ولكنه رجع عنه . توفي سنة ٤٧٨ هـ . سير (٤٦٨ / ١٨) .

وأما قوله . فهو موجود في الإرشاد (ص ٣٢٠) . حيث قال فيه : « والموزون : الصحف المشتملة على الأعمال » .

(٥) انظر المحرر الوجيز (١٣ / ٧) . وفيه : « وهو أقربها إلى الظن » .

(٦) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة . صاحب السنن . أحد الأئمة ثقة ، حافظ . توفي سنة ٢٧٩ هـ . تقريب (ص ٣١٤) .

وابن ماجه (١) وابن حبان (٢) ، والحاكم . وصححه ، والبيهقي (٣) قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مدّ البصر ، فيها خطاياہ وذنوبه . فيقول الله : أتنكر من هذا شيئا ، أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذرا وحسنة ؟ . فيقول : لا يارب . فيقول الله : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فيقول : يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ . فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء » (٤) .

فثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو : صحائف

-
- (١) هو أبو عبد الله بن محمد القزويني . أحد الأئمة ، صاحب السنن ، حافظ . توفي سنة ٢٧٣ هـ . تقريب (ص ٣٢٤) .
- (٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي . صاحب التصانيف المعروفة ، ثقة ، نبيل فهم . توفي سنة ٣٥٤ هـ سیر (٩٢/١٦) .
- (٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين . صاحب السنن الكبرى . جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث . توفي سنة ٤٥٨ هـ . سیر (١٦٣/١٨) .
- (٤) الحديث عند الترمذي في سننه (٢٤/٥ رقم ٢٦٣٩) .
- وابن ماجه في سننه (١٤٣٧/٢ رقم ٤٣٠٠) .
- والحاكم في مستدرکه (٥٢٩/٦/١) .
- والبيهقي في شعب الإيمان (١/٧٨/١) .
- وقال الترمذي : « حسن غريب » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٣٥) .

الأعمال^(١) . وقلت : « وعلى هذا فكيف يعقل وزن هذه الصحف ؟
 فهل العبرة في الوزن بتفاوت أ جرام الصحف أو بالكتابة التي فيها ، وعلى
 كلا التقديرين فمشكل بحديث البطاقة ، فسبحان العالم بكل
 شيء »^(٢) .

واختلف العلماء : هل توزن أعمال الكافرين ، أو الوزن خاص
 بأعمال المؤمنين ، وفي كل آيات متعارضات . فقال بعضهم : توزن
 أعمال الكافرين لقوله تعالى : ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا
 أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾^(٣) . أي : يجحدون . قاله :
 مجاهد^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ وأما من خفت موازينه * فأما هاهنا ﴾^(٥) .
 قال القرطبي : « فإن قيل إذا وزن عمل الكافر فما يقابله في الكفة

(١) تقدم التفصيل في هذا في المقدمة . ورأينا أن الراجح هو التوفيق بين الأقوال
 والنصوص الواردة في ذلك .

(٢) بعد تفويض علمه إلى الله تعالى ، لا يبقى أي إشكال ، علما بأن أحوال
 القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا ، كما تقدم ذكره ، نقلا عن ابن حجر . ولعل قوله ﷺ في
 الحديث السابق : « ولا يتقل مع اسم الله شيء » . يكون فيصلا في ذلك ، وهو يبين أنه
 لا يكون اعتبار لأجرام الصحف ، ولا للكتابة التي فيها ، وإنما يكون لشيء آخر يعلمه الله
 تعالى . وليس في ذلك أي إشكال إذا وكلنا علمه إلى الله تعالى ، فهو بمنزلة كيفية سائر
 ما أخبرنا به من الغيب ، فلا يتعرض لأكثر مما ورد به الكتاب والسنة الصحيحة ، بل
 يتوقف عند أحدهما ، مع الإيمان الجازم بصدق ماورد فيهما من أخبار الغيب .
 (٣) سورة الأعراف الآية ٩ .

(٤) روي ابن جرير في تفسيره (١٢٥/٨) من طريق الأعمش ، عن مجاهد
 ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ . قال : « حسناته » .

(٥) سورة القارة الآيتان ٨ ، ٩ .
 وقد استدلل القرطبي بهذه الآية وغيرها على أن الكفار توزن أعمالهم لأنهم هم
 المعنيون عامة بقوله : (خفت موازينه) . انظر التذكرة (٣٧٣) ..

الأخرى ؟ . قلنا : ما كان من صلة الأرحام ، وأفعال البر ونحو ذلك ، غير أن الكفر إذا قابلها رجح عليها » (١) .

وقال بعضهم : « لا توزن أعمال الكافرين لقوله تعالى : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ » (٢) . وأجاب من قال بوزن أعمالهم عن هذه الآية : أن المراد وزنا يعتد به ، أي فلا يكرمون ولا يعطون (٣) ، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم (٤) .

(١) انظر التذكرة (ص ٣٧٦) . وما ذكره المؤلف هو معنى قول القرطبي ، ثم إنه أحد الوجهين اللذين أجاب بهما عن الاعتراض المذكور . أما الوجه الثاني : فهو أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ، ثم يقال له : « هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها . فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة ، وتقع الكفة المشغولة ، فذلك خفة ميزانه » وهو ظاهر الآية .

(٢) سورة الكهف الآية ١٠٥ . وهذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) . فقال : « وقال قوم » : لا ينصب لهم ميزان ولا يحاسبون ، لقوله : ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ سورة الفرقان الآية ٢٣ . وذكره الزمخشري في الكشاف (٤٠٣/٢) . فإنه قال - عند الآية المذكورة عند المؤلف - : « وقيل : لا يقام لهم ميزان ، لأن الميزان لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين » . ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب إلى هذا القول . فإنه قال : « وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ، فإنهم لا حسنات لهم ، ولكن تعد أعمالهم وتحصى ، فيوقفون عليها ، ويقرون بها ، ويجزون بها » .

مجموع الفتاوى (١٤٦/٣) . وهذا مجرد استنباط يخالف عموم النصوص الواردة في الميزان .

(٣) كذا في النسختين « يعطون » ويبدو أن الصواب : « يعظمون » . وهكذا ورد في تفسير الرازي .

(٤) قال الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) - في معنى الآية - : « أنه لا يكرمهم ولا يعظمهم » . وقال القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٤) : « وقيل » : يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة ، كأنه قال : « فلا قدر لهم عندنا يومئذ » .

والصواب : « أن الميزان لا يكون في حق كل أحد ، فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لا ينصب لهم ميزان ^(١) ، وكذلك من يعجل به إلى النار لا يقام لهم وزن ، وبقية الكفار ينصب لهم الميزان ، فظهر بهذا أن قوله تعالى : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ محمول على من يعجل به للنار والآيات الأخر في حق بقية الكافرين ، فإذا لا تعارض بين الآيات ولا مجاز في الآية ، فتأمل هذا التحقيق » ^(٢) .

(١) ذكر نحو هذا القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٥) . فإنه قال : « الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام : « فيقال : يا محمد ! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه ... الحديث » . وقوله تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ . سورة الرحمن الآية ٤١ . وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ، ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين وقد يكون للكافرين » .

ونقله ابن كثير في النهاية (٣٦/٢) . وقال : « وقد تواترت الأحاديث في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لكن يلزم من هذا أن لا توزن أعمالهم ، وفي هذا نظر . والله أعلم » . ثم ذكر أن في وزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة . إظهار شرفهم والتنويه بسعادتهم ونجاتهم . وفي وزن أعمال الكفار وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم إظهار شقائهم وفضيحتهم ، كما أن في ذلك إظهار كمال عدل الله تعالى .

(٢) يبدو أن هذا التحقيق مبني على كلام القرطبي الذي سبق ذكره ، وهو توفيق حسن بين النصوص ، إلا أنه ليس هناك ما يؤيده من الكتاب والسنة ، ثم إن النصوص التي تدل على دخول طائفة بالجنة دون حساب ، وكذلك النصوص التي تدل على التعجيل بقوم إلى النار ، ليست صريحة في عدم نصب الميزان لهم ، والاستدلال بها على عدم نصبه فيه نظر ، كما أشار إليه ابن كثير .

وقال أبو حيان : « والظاهر أن هذا التقسيم - يقصد ما جاء في قوله تعالى : (من نقلت موازينه ... ومن خفت موازينه) - هو بالنسبة للمؤمنين من أطاع ومن عصي ، وللکفار فتوزن أعمال الكفار » . البحر المحیط (٢٧٠/٤) . وهذا الذي تقتضيه ظواهر أكثر الآيات والأحاديث ، كما صرح بذلك الألوسي ، ولكنه مال إلى عدم عمومها ، ولم يذكر سبب ميله إليه » .

انظر روح المعاني (٥٥/١٧) .

وقال بعض أهل التحقيق ^(١) : « خيرات الكافر توزن ويجزى بها إلا أن الله تعالى حرّم عليه الجنة ، فجزاؤه أن يخفف عنه ، بدليل حديث أبي طالب ^(٢) وذكر المحققون أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس وارتضاه الأئمة ^(٣) ، ونقل ذلك عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - ^(٤) .

(١) لعله يقصد بذلك القرطبي ، فإنه ذكر نحو هذا الكلام في التذكرة (ص ٣٧٧) .

(٢) هو عم النبي - ﷺ - .

والمقصود بحديث أبي طالب هو ما رواه البخاري في صحيحه (١٩٣/٧) رقم ٣٨٨٣ ، ومسلم في صحيحه (١٩٤/١ ، ١٩٥ ، رقم ٢٠٩) من حديث العباس بن المطلب . قال للنبي - ﷺ - : « ما أغيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويفض بك . قال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » . هذا لفظ البخاري . وهذه المسألة - أيضا - ذكرها ابن كثير نقلا عن القرطبي . وقال : « وفي هذا نظر ، وقد يكون هذا خاصا به ، خلاصه رسول الله - ﷺ - بسبب نصرته له » . وذكر أنه سئل النبي - ﷺ - عن عبد الله بن جدعان ، وذكر أنه كان يقري الضيف ويصل الرحم ، ويعتق ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « لا . إنه لم يقل يوما من الدهر : لا إله إلا الله ... » (النهاية (٣٧/٢) .

(٣) منهم القرطبي . حيث ذكر من أدلة الكتاب والسنة ما يؤكد على أن الجن أيضا مكلفون ، وأن حكمهم في الآخرة كحكم الآدميين . انظر التذكرة (ص ٣٨٠ ، ٣٨١) .

وذكر ذلك السفاريني نقلا عن المؤلف من بهجة النفوس ، ووافقه .

انظر لوامع الأنوار (١٨/٢) .

(٤) انظر الكشف والبيان (ق ١٠٢ / ١ نسخة المولوية بحلب) .

وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٣) . وزاد عليها واحدة فقال : « والخامسة : الإعلام بأن الله تعالى عادل لا يظلم ، ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب ، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه » . وانظر أيضا الفتوحات الإلهية (١٢٢/٢) .

واختلف العلماء . ما الحكمة في وزن الأعمال مع أن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وزنه ؟ . قال الثعلبي : « لأجل أربعة أشياء : إما تعريف الله تعالى العباد ما لهم عنده من جزاء على خير أو شر ، أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا ، أو جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى ، أو إقامة الحجة عليهم » (١) . انتهى .

قلت : « الأحسن أن يقال الحكمة فيه إظهار العدل ، وبيان الفضل ، حيث أنه تعالى يزن مثاقيل الذر من الأعمال : ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ » (٢) .

قال أبو عثمان النهدي (٣) : « قدمت إلى مكة حاجا ، أو معتمرا ، فلقيت أبا هريرة . فقلت : بلغني عنك أنك تقول : الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة . فقال : لم أقل ذلك ، ولكني قلت : إن الحسنة تضاعف بألفي ألفي ضعف . ثم قال : « قال الله تعالى : ﴿ ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ » (٤) .

(١) ذكره السفاريني عن المؤلف مؤيدا له .

(٢) سورة النساء الآية ٤٠ .

انظر لوامع الأنوار (١٨٨/٢) .

(٣) هو عبد الرحمن بن مل . مشهور بكنيته ، مخضرم ، ثقة ، ثبت ، عابد ، مات

سنة ٩٥ . تقريب (ص ٢١٠) .

(٤) لم أهتم إلى من رواه بهذا اللفظ ، وأورد السيوطي في الدر المنثور (١٦٣/٢) قريبا من هذا . ولكنه لم يرد فيه ذكر الحج أو العمرة ، وجاء فيه : « ألف ألف حسنة » . بدل « ألف حسنة » . وفيه : قال أبو هريرة : « نعم . وألفي ألف حسنة » . وعزا تخريجه إلي ابن أبي شيبة . وهذا في الظاهر موقوف . وهناك روايات أخرى للحديث مرفوعة منها : ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٦/٢ ، ٥٢١) . والطبري في تفسيره (٩١/٥) من طريق علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي . قال : « أتيت أبا هريرة . =

وقال الحسن : ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ أحبّ إليّ من قول العلماء : « من أن الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة ، لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوما ، وأما على هذه العبارة التي في كتاب الله فغير معلوم » (١) .

قال النسفي (٢) - مستدركا من عموم وزن الأعمال - : « إن الإيمان لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى ، لأن ضده الكفر ، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد » (٣) . قلت : « وورد أيضا أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله » .

= فقلت له : « إنه بلغني أنك تقول : إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة . قال : « وما أعجبك من ذلك . فوالله لقد سمعت .. يعني النبي ﷺ ... يقول : إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » . وأعله ابن كثير بعلي بن زيد بن جدعان . إلا أن الحديث له طرق أخرى . راجع لمعرفة تفسيره (٤٩٨/٢) .

(١) لم أهتم إلى من رواه أو ذكره عنه .

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد الحنفي السمرقندي . صاحب فنون . توفي سنة ٥٣٧ هـ . انظر سير (١٢٦/٢٠) .

(٣) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار (١٨٨/٢) نقلا عن بحر الكلام . وذهب إليه أيضا الحكيم الترمذي . كما ذكر عنه القرطبي ، ثم انتصر له ، مع أنه يخالفه حديث البطاقة السابق . وفيها : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله » . وهي كلمة الإخلاص ، وأساس الإيمان ، وأجابوا عنه بأن كلمة الإخلاص تكون أول مرة إيمانا ، وبعد ذلك تكون حسنة من الحسنات . وقال القرطبي : « ويدل على هذا قوله في الحديث » : فيقول : « بلى ، إن لك عندنا حسنة » . ولم يقل : « إن لك إيمانا » . واستدل أيضا بحديث آخر عند البيهقي . أنه سئل رسول الله - ﷺ - عن « لا إله إلا الله آمن الحسنات هي ؟ فقال : من أعظم الحسنات » . انظر التذكرة (ص ٣٨١) .

وأشار السفاريني في لوامع الأنوار (١٨٨/٢) إلى هذه المسألة ، وانتصار القرطبي لمن ذهب إلى القول بأن الإيمان لا يوزن ، وعقب عليه بقوله : « وفيه نظر لا يخفى » . ويبدو لي أن الذي جرحهم إلى القول بأن الإيمان لا يوزن ، اعتقادهم بأن الإيمان اسم لمجرد التصديق بالقلب ، وهو بسيط غير مركب ، لا يقبل الزيادة والنقصان . =

روى إمامنا أحمد ^(١) أن النبي - ﷺ - نزل عليه جبريل وعنده رجل يكي . فقال : « من هذا ؟ . قال : فلان . فقال جبريل - عليه السلام - : إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلّا البكاء ، فإن الله يطفئ بالدمعة الواحدة بحورا من نار جهنم » ^(٢) .

وروى البيهقي : أن النبي - ﷺ - قال : « لو أن باكيا بكى في أمة من الأمم لرحموا ، وما من شيء إلّا له مقدار وميزان ، إلّا الدمعة فإنها تطفي بها بحار من نار » ^(٣) ، وكذلك الأعمال الغير المخلصة لا توزن .
 روى البزار ^(٤) ، والطبراني ^(٥) ، والدارقطني ^(٦) ،

= وهو مذهب غير صحيح ، والذي عليه السلف أن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان . يقبل الزيادة والنقصان .

وعلى هذا ليس في وزنه أي إشكال . والله أعلم .

وراجع التفصيل في مسألة الإيمان : كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(١) هو إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . أحد الأئمة ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، حجة . توفي سنة ٢٤١ هـ .
 تقريب (ص ١٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٧) من طريق أبي الجراح عن رجل من أصحابهم يقال له : « خازم » . ويبدو أنه مرسل ، وإسناده ضعيف ، لأن أبا الجراح مجهول . كما في التقريب (ص ٣٩٨) .

(٣) بحث عنه فلم أجده .

(٤) هو أبو بكر أحمد بن عمرو البصري ، صاحب المسند الكبير ، ثقة ، يخطئ ، لأنه يتكل على حفظه . توفي سنة ٢٩٧ هـ . سير (٥٥٤/١٣) .

(٥) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب . صاحب المعاجم الثلاثة ، ثقة ، حافظ . توفي سنة ٣٦٠ هـ . سير (١١٩/١٦) .

(٦) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي ، كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا . توفي سنة ٣٨٥ هـ . سير (٤٤٩/١٦) .

والأصهباني (١) ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : « قال رسول الله ﷺ - : يوتي يوم القيامة بصحف مخرمة ، فتنصب بين يدي الله . فيقول الله : ألقوا هذه ، واقبلوا هذه ، فتقول الملائكة : وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل . فيقول عز وجل : « إن هذا كان لغير وجهي ، وأني لا أقبل اليوم إلا ما ابتغي به وجهي » (٢) .

لطيفة . قال علماء الصوفية : « من وزن أعماله ، وأنفاسه في الدنيا بميزان العدل فهو من العابدين ، ومن وزن حركاته فهو من المحبين ، ومن وزن خطراته به فهو من العارفين ، وميزان العدل ثلاثة : ميزان النفس والروح ، فمن وزنها بميزان الأمر والنهي بكفة الكتاب والسنة ، نال الدرجات في الجنات ، وميزان القلب والعقل . فمن وزن حركتهما بميزان الثواب والعقاب بكفة الوعد والوعيد ، نال أسنى الدرجات ، وميزان المعرفة والسر ، فمن وزنها بميزان الرضا والسخط ، بكفة الطلب والهرب ، سلم مما هرب ، وفاز بما طلب ، ومن أراد الوصول إلى المسبب فعليه بالهرب من السبب ، فإنه حجاب كل طالب » (٣) .

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي . صاحب الترغيب والترهيب ، حافظ ، علامة . توفي سنة ٥٣٥ هـ . سير (٨٠/٢٠) .

(٢) رواه البزار في مسنده . كما في كشف الأستار (١٥٧/٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠/١٠) : « رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح » . ويلاحظ أن الحديث ليس نصا في عدم وزن الأعمال غير المخلصة ، وإنما هو نص في عدم قبولها ، ووزن الأعمال شيء ، وقبولها شيء آخر .

(٣) لم أعرف كلام من هذا . وفي الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين غنية عن مثل هذا الكلام . وقد أشار الألوسي إلى شيء من ذلك ، وفيه : أنه قال : « وذكروا أن في الدنيا موازين وأعظم موازينها الشريعة . وكفتاه : الكتاب =

وأما قوله تعالى : ﴿ وكفي بنا حاسين ﴾ قال الزجاج ^(١) - في هذه الآية - : « هذا خبر ، ومعناه الأمر أي اكتفوا بنا ^(٢) ، وأصل الحساب العد والإحصاء » ^(٣) قال الثعلبي : « ومعنى الحساب : تعريف الله عز وجل الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم ، وتذكيرهم بإياهم ما قد نسوه من ذلك ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا ، فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴾ » ^(٤) . وقال بعضهم : « معني كونه تعالى محاسباً لخلقه ، أنه تعالى يعلمهم ما لهم وعليهم » .

قال الفخر : « بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية ، وكيفياتها ، بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب » وقال بعضهم : إنه تعالى يكلم عباده في أحوال أعمالهم من الثواب والعقاب ^(٥) ، لما في

= والسنة ، ثم عقب عليه بقوله : « ولعمري لقد عطل هذا الميزان متصوفة هذا الزمان . أعاذنا الله تعالى والمسلمين مما بهم عليه من الضلال » . روح المعاني (٥٧/١٧) .

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي . مصنف معاني القرآن ، إمام النحو في زمانه . توفي سنة ٣١١ هـ . سير (٣٦٠/١٤) .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٩٤/٣ ت د / عبد الجليل) . وفيه : « اكتفوا

بالله حسيبا » . وذكره عنه الرازي في تفسيره (١٩٠/٥) . وزاد : « فسمي الحساب في المعاملات حسابا ، لأنه يعلم به ما فيه كفاية ، وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان » .

(٣) نقله الرازي عن الليث ، وابن السكيت .

(٤) سورة المجادلة الآية ٦ .

وانظر قول الثعلبي في الكشف والبيان (١/٥٨/٢) . نسخة المحمودية .

(٥) انظر القولين في تفسير الرازي (١٩٠/٥) . ذكرهما الرازي دون تصريح

بقائلهما ، وفي كونهما تفسيراً للآية نظر . وهما مأل الحساب ونتيجته لا الحساب نفسه . والله أعلم .

وهناك أقوال أخرى منها : أن المحاسبة عبارة عن المجازاة . ذكره الرازي ، وأبو حيان

في البحر المحيط (٣١٧/٦) .

ويلو أنه اختيار القرطبي . حيث قال : « أي مجازين على ما قدموه من =

البخاري (١) « عن النبي - ﷺ - ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجبه » (٢) . قال الفخر : « فمن قال » إن كلامه تعالى ليس بصوت ، ولا حرف . قال : « إن الله يخلق في أذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم » (٣) ، كما أنه يخلق في عينيه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال : « إنه صوت ؟ . قال : « إن الله تعالى يخلق كلاماً يسمعه كل مكلف . إما أن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم ، أو في جسم بقرب من أذنه ، بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت ، أن تمنع الغير من فهم ما كلف به » (٤) . قال : وهذا هو

= خير وشر . ثم ذكر قولاً ثالثاً . وهو أن معناه : « لا أحد أسرع حساباً منا » تفسير القرطبي (٢٩٤/١١) . وقال أبو حيان : « فيه توعّد ، وهو إشارة إلى ضبط أعمالهم من الحساب ، وهو العد والإحصاء ، والمعنى : أنه لا يغيب عنا شيء من أعمالهم » . البحر المحيط (٣١٧/٦) . وهذا الذي يبدو أنه أرجح تلك الأقوال الكثيرة ، لأنه موافق لما جاء في اللغة ولسياق الكلام . والله أعلم .

(١) هو أبو عبد الله بن إسماعيل . صاحب الصحيح . جيل الحفظ . إمام الدنيا . توفي سنة ٢٥٦ هـ . تقريب (٢٩٠) .

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري (٤٠٠/١١) رقم ٦٥٣٩ ، ٤٢٣/١٣ ، ٤٧٤ رقم ٧٤٤٣ ، ٧٥١٢) .

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه (٦٠٧/٢ رقم ١٠١٦) .

(٣) هذا مبني على قول الأشاعرة في مسألة كلام الله تعالى . لأنهم يرون أنه عبارة عن المعنى القائم بذاته ، وهو صفة أزلية قديمة ، ليس بحرف ولا صوت ، وهو عين الأمر وعين النبي وعين الخير ... الخ .

راجع لمعرفة كلامهم شرح الفقه الأكبر (ص ٢٧) . والمواقف (ص ٢٩٤) .

(٤) هذا الكلام مبني على قول المعتزلة في مسألة الكلام . فإنهم يرون أنه مخلوق خلقه الله تعالى منفصلاً عنه ، وهو حرف وصوت ، وأنه سبحانه وتعالى كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء . انظر شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨) .

المراد من كونه تعالى محاسباً لخلقه « (١) » .

ونقل عن ابن عباس أنه لا حساب على الخلق ، بل يقفون بين يدي الله تعالى يعطون كتبهم بأيمانهم (٢) ، ويقال : « هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها . ثم يعطون حسناتهم ، ويقال : هذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم (٣) » . وهذا معارض بالأحاديث الصحيحة .

= وانظر أيضاً مقالات الإسلاميين (ص ١٩١) .
وأما السلف فيرون أن كلام الله تعالى صفة له ، كسائر صفاته الأخرى . وهي صفة ذات وفعل ، يتكلم بها متى شاء وما شاء . وكيف وكلامه حروف وأصوات يسمعونها من يشاء من عباده ، وليس كلامه وصوته ككلام المخلوقين وصوتهم .
راجع لمعرفة مذهب السلف في هذه المسألة : مجموع الفتاوى (٣٩/١٢ ، ٤٠) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٩ وما بعدها) .
وعلى مذهب السلف لا حاجة إلى ما ذكره الرازي في تفسير الحديث ، والغريب من المؤلف أنه نقل ذلك وسكت عنه .

(١) انظر كلام الرازي في تفسيره (١٩٠/٥) .
وقد نقله المؤلف باختصار وتصرف . وما قرره الرازي في تفسير الحديث : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه .. » . فهو خطأ في خطأ . كما سبق بيانه . وما كان ينبغي للمؤلف أن يورده هنا دون تعقيب .
وقد ذكر السفاريني في لوامع الأنوار (١٧٢/٢) اختلاف العلماء في معنى محاسبته تعالى عباده ، فذكر في ذلك ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه يعلمهم ما لهم وما عليهم .

والثاني : أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم ... « وهو منقول عن ابن عباس » .
والثالث : أن يكلم الله تعالى عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب ، وما عليها من العقاب . ولم يذكر التفصيل الذي ذكره الرازي .

(٢) في تفسير الرازي هنا زيادة . قوله : « فيها سيئاتهم » . وهو الأنسب .
(٣) هذا الأثر أورده الرازي في تفسيره (١٩٠/٥) ضمن القول الأول . =

روي الإمام مسلم أن النبي - ﷺ - قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمرة فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن عمله ما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه » (١) .

وروى ابن المبارك (٢) ، وأبو داود (٣) ، والترمذي ، وحسنه ،

= وأورده السفاريني كأحد الأقوال الثلاثة في معنى محاسبة الله تعالى عباده . لم يذكر الجملة الأولى : « لا حساب على الخلق » .
لم أجد من رواه . وهو كما قال المؤلف معارض للأحاديث الثابتة ، وهذا يكفي لضعفه ، وقد أثبت هنا في نسخة (م) تعليق حاول فيه المعلق دفع التعارض بينه وبين الأحاديث الصحيحة . ونصه :

« أقول : قال سيبويه : يكون لام التعريف للكمال .
تقول زيدا الرجل الكامل في الرجولية ، فيمكن أن يقال إن لام التعريف في الخلق للكمال فيكون المعنى :
لا حساب على الكامل في المخلوقية ، وهم الذين هداهم الله تعالى إلى سبيل الصواب فصرفوا أنفسهم إلي ما خلقت له وعملوا ما يكون سببا بدخول الجنة بلا حساب فلا تعارض بين هذا القول وبين الأحاديث الصحيحة » .

والسياق يدل على خلافه .

(١) يبدو أن المؤلف وهم في عزو الحديث إلى مسلم ، فإني لم أجد من عزاه إليه ، كما أنني لم أهتد إليه في صحيحه . وقد أخرجه الترمذي في سننه (٦١٢/٥ رقم ٢٤١٦) من حديث ابن مسعود ، وفيه « عن خمس » . كما أن فيه : « وماذا عمل فيما علم » . ورواه أيضا (برقم ٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي ، وله طرق أخرى . راجع للتفصيل سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٦٦٦/٢ رقم ٩٤٦) .

(٢) هو عبد الله بن المبارك المروزي . ثقة ، ثبت ، فقيه ، جمعت فيه خصال الخير ، توفي سنة ١٨١ هـ . تقريب (ص ١٨٧) .

(٣) هو سليمان بن الأشعث السجستاني . صاحب السنن ، ثقة ، حافظ ، توفي سنة ٢٧٥ هـ . تقريب (ص ١٣٢) .

والحاكم وصححه ، والنسائي ^(١) ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة . قال : « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : إنَّ أوَّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، يقول الله للملائكة : انظروا إلى صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان ينقص منها شيئا . قال الله : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فإن كان له تطوع . قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » ^(٢) .

وفي النسائي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - يرفعه : « أوَّل ما يحاسب عليه العبد : صلاته ، وأوَّل ما يقضي بين الناس في الدِّما » ^(٣) .

قال الإمام الفخر في قوله تعالى : « ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ » ^(٤) . هذه الآية تدل على أنه يحاسب عباده ، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين ، أو مرسلًا إليهم ، ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء - عليهم السلام - ولا الكفار » ^(٥) . انتهى .

(١) هو أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن . صاحب السنن . الحافظ . مات سنة ٣٠٣ هـ . تقريب (ص ١٣) .

(٢) الحديث في الزهد لابن المبارك (ص ٣٢٠ رقم ٩١٥) . وسنن أبي داود (٥٤٠/١ رقم ٨٦٤) . وسنن الترمذي (٢٦٩/٢ ، ٢٧٠ رقم ٤١٣) . وسنن النسائي (٢٣٢/١ ، ٢٣٣) . وسنن ابن ماجه (٤٥٨/١ رقم ١٤٢٥) . والمستدرک (٢٦٢/١) . وهو صحيح . كما في صحيح الجامع الصغير (١٨٤/٢ رقم ٢٠١٦) .

(٣) الحديث في سنن النسائي (٨٣/٧) . في إسناده بعض من تكلم فيه ، ولكن له شواهد يبلغ بها درجة الصحة .

راجع للتفصيل : « سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٨/٤ ، ٣٢٩ رقم ١٧٤٨) .

(٤) سورة الأعراف الآية ٦ .

(٥) انظر تفسير الرازي (٢٤/١٤) .

ويمكن الجواب . وهو : أن يقال : « لا حساب على الأنبياء حساب مناقشة ^(١) ، قال النسفي - في بحر الكلام - : « الأنبياء لا حساب عليهم ، وكذلك أطفال المؤمنين ، والعشرة المبشرة بالجنة ، هذا في حساب المناقشة ^(٢) ، أما حساب العرض ، فلا . وهو أن يقال : فعلت كذا ، وعفوت عنك ، وحساب المناقشة لم فعلت كذا » .

روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ - : « من نوقش الحساب عذب ، فقلت : أليس الله يقول : ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ ^(٣) . قال : « ليس ذلك الحساب ، ولكن ذاك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب ^(٤) . قلت : وعلى هذا يحمل كل حديث ورد في حق من يدخل الجنة بغير حساب » فمن ذلك حديث البزار : « من ابتلي ببصره فصبر حتى يلقي الله ، لقي الله ولا حساب عليه ^(٥) . وحديث جابر : « من مات في طريق مكة

- (١) وهذا أجاب السفاريني أيضا . انظر لوامع الأنوار (١٧٥/٢) .
 (٢) إلي هنا أورده السفاريني في لوامع الأنوار (١٧٥/٢) . نقلا عن بحر الكلام .
 (٣) سورة الانشقاق الآية ٨ .
 (٤) الحديث في صحيح البخاري (٩٧/١) رقم ١٠٣ ، ٦٩٧/٨ رقم ٤٩٣٩ ، ٤٠٠/١١ رقم ٦٥٣٦ ، ٦٥٣٧ .
 وصحيح مسلم (٢٢٠٤/٤ ، ٢٢٠٥ رقم ٢٨٧٦) .
 (٥) أخرجه البزار من حديث زيد بن أرقم في أوله زيادة قوله : « ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره ... » . ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠١/١٠) . وقال : « أصله عند أحمد بغير لفظه بسند جيد . وللطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « من أذهب الله بصره ... فذكر نحوه » . ووردت عدة أحاديث في فضل الصبر على ذهاب البصر . راجع للتفصيل : « الزهد لهناد (٢٢٩/١ رقم ٣٨٠) مع تعليق المحقق » .

ذاهبا أو راجعا لم يعرض ولم يحاسب » (١) وحديث أبي أيوب الأنصاري : « طالب العلم ، والمرأة المطيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب » (٢) . وحديث عائشة : « من ربي صبيا حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله » (٣) إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في بهجة الناظرين ، وآيات المستدلين (٤) . والله سبحانه أعلم .

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣٣٦/١) . ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢١٧/٢) من حديث جابر . قال فيه ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، والمتهم به إسحاق بن بشر . وقد كذبه ابن أبي شيبة وغيره . وقال الدارقطني : « هو في عداد من يضع الحديث » . وروى هذا الحديث عن عائشة . أخرجه ابن عدي في الكامل (١٩٩٢/٥) . وهو منكر . فيه عائد من تُسَيَّر . ضعفه يحيى بن معين . قال الذهبي : « سرد له ابن عدي مناكير . منها » ... ثم ذكر هذا الحديث . ميزان الاعتدال (٣٦٣/٢) .

(٢) لم أهد إلى من رواه .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٤٥/٣) . ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١٧٨/٢) . وقال ابن الجوزي : « لا يصح » . وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٤٥/١ - ١٤٧ رقم ١١٤) . وحكم عليه بأنه موضوع .

(٤) انظر (ق ١٥٥ / ب) « فصل فيمن يدخل الجنة بغير حساب » . ويلاحظ أن المؤلف أوردها هنا من الأحاديث ما هو ضعيف أو موضوع . مع أنه توجد أحاديث أخرى صحيحة ورد فيها دخول جماعة من الناس في الجنة بغير حساب . منها : ما رواه البخاري في صحيحه : (٤٠٦/١١ رقم ٦٥٤٢) ومسلم في صحيحه : (١٩٧/١ - ١٩٨ رقم ٢١٦) . من حديث أبي هريرة مرفوعا : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب ... الحديث » . وهو مروي من حديث غيره . والمؤلف أورد هذا الحديث وغيره مما ورد فيه دخول جماعة في الجنة بغير حساب في : بهجة الناظرين ، ولكن دخولهم بغير حساب لا يعني أن لا ينصب لهم ميزان . كما تقدم .

خاتمة :

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بسرعة حساب الخلائق مع كثرة عددهم ، وكثرة أعمالهم . فقال : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ ^(١) ، ليدل على كمال قدرته ، ووجوب الحذر منه . روى : أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة ، وروى في مقدار فواق ناقة ، وروى في مقدار لحمة . كذا حكاه الزمخشري في تفسيره ^(٢) ، والله تعالى على ما يشاء قدير . قال الحسن : « حسابه أسرع من لمح البصر . حكاها الثعلبي عنه ^(٣) . وقال ابن عطية : « قيل لعلي بن أبي طالب : كيف يحاسب الله الخلائق يوم القيامة ؟ . فقال : كما يرزقهم ^(٤) في يوم » وفي الحديث : « لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار » ^(٥) . وقد قيل : « إنه سبحانه إذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع الخلائق » ^(٦) .

-
- (١) هو جزء من آيات عديدة - آل عمران - الآية ١٩ ، ١٩٩ ، المائدة الآية ٤ ، إبراهيم الآية ٥١ . سورة غافر الآية ١٧ .
- (٢) الكشف (١٢٥/١) . والرواية الأولى أوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٥٧/٢ ب) . والرازي في تفسيره (١٩١/٥) ولم أجد من رواها مسندة .
- (٣) في تفسيره الكشف والبيان (٥٧/٢ ب) نسخة المحمودية .
- (٤) انظر المحرر الوجيز (١٣٢/٢) . وفيه : « يوم » بدل « يوم القيامة » . وأورده القرطبي في التذكرة (ص ٢٧٢) بنحوه . وفيه : « كما يرزقهم » .
- (٥) أورده القرطبي في التذكرة (ص ٣٦٠) . وقال : « ذكره ابن عزير في غريب القرآن له » . ولم أعتد إلى من رواه بهذا اللفظ ، وهو عند ابن المبارك في الزهد (ص ٤٦٣ رقم ١٣١٣) ، والحاكم في مستدركه (٤٠٢/٢) عن عبد الله بن مسعود موقوفا : « لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقبل هؤلاء في الجنة . وهؤلاء في النار ... » . قال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي » .
- (٦) قال ابن كثير في تفسيره (٧٥/٤) عند قوله تعالى : ﴿ إن الله =

قال بعض العارفين من غريب حكم الآخرة : « أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه وتوزن حسناته ، وسيئاته . وهو يظن أن الله تعالى ما حاسب أحدا سواه . وقد حوسب في تلك اللحظة آلاف ألوف ، وما لا يمكن حصره ^(١) . قلت : « ولعل السرّ في هذا وتقريبه للعقول ، أن معنى الحساب ما قال المفسرون : هو تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه . وهذا قريب للعقل جدا بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية مقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة . فتأمل والكلام على هذه الآية الشريفة ، مما يطول ، وفيما ذكرناه من هذه الألفاظ القليلة موعظة للمتعظين ، وتبصرة للعارفين ، جعلنا الله تعالى منهم . آمين آمين . والحمد لله رب العالمين .

* * *

= سريع الحساب ﴿ . سورة غافر الآية ١٧ : أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة . كما قال جلّ وعلا : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة ﴾ . سورة لقمان الآية ٢٨ . وقال جلّ جلاله : ﴿ وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر ﴾ . سورة القمر الآية ٥ .

(١) لم أهتد إلى معرفة هذا العارف .

فهرس الآيات

الآية	سورتها	رقمها	صفحة
إن الله سريع الحساب	آل عمران	١٩، ١٩٩	
	المائدة	٤	
	إبراهيم	٥١	
	غافر	١٧	٧٧، ٧٦
وإن ثلاث حسنة يضاعفها	النساء	٦٥٤٠	
فلنسألن الذين أرسل إليهم	الأعراف	٦	٧٣
والوزن يومئذ الحق	»	٩، ٨	٥٤، ١٢، ٦
لا يجليها لوقتها إلا هو	»	١٨٧	٤٩
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	الكهف	١٠٥	٦٣، ٦٢
ونضع الموازين القسط	الأنبياء	٤٧	٥٧، ٤٨، ٧
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم			
المفلحون	المؤمنون	٧١٠، ٣، ١٠٢	
كذبت قوم نوح المرسلين	الشعراء	١٠٥	٥٨
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	لقمان	٢٨	٧٧
بل كذبوا بالحق لما جاءهم	ق	٥	٤٩
وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر	القمر	٥٠	٧٦
يعرف المجرمون بسيماهم	الرحمن	٤١	٦٣
يوم يبعثهم الله جميعا	المجادلة	٦	٦٩
فسوف يحاسب حسابا يسيرا	الانشقاق	٨	٧٤
فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة			
راضية	القارعة	٩-٦	٧

أولا - فهرس الأحايث

الصفحة	الحديث
٢٠	اقرأوا الزهراوين
٧٣	إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة
٥٩	إن رسول الله - ﷺ - سئل عما يوزن يوم القيامة
٦٧	إن النبي - ﷺ - نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي
٢١	إنه ليأقن الرجل العظيم السمين يوم القيامة
٧٣	أول ما يحاسب عليه العبد صلاته
١٩	توضع الموازين يوم القيامة ، فتوزن الحسنات
٢٢	توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى الرجل
٧٥	طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها
٨	الطهور شرط الإيمان
٨	كلمتان خفيفتان على اللسان
٧٢	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع
٦٧	لو أن باكيا بكى في أمة من الأمم لرحموا
١٩	ما من شيء في الميزان
٧٠	ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه
٧٤	من ابتلي ببصره فصبر حتى يلقي الله
٧٥	من رنى صبيا حتى يقول : لا اله إلا الله
٧٥	من مات في طريق مكة ذاهبا أو راجعا لم يعرض
٧٤	من نوقش الحساب عذب
٢١، ٨	والذى نفسى بيده لهما أثقل في الميزان
٦٤	هو في ضحضاح من نار

- ٦٠ يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة
- ٢١ يؤتى الرجل الأكل والشروب العظيم
- ٦٨ يؤتى يوم القيامة بصحف محتمة فتنصب
- ٥٤ يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض

ثانيا - فهرس الآثار

الصفحة	الأثر
٥٣	أن داود عليه السلام سأل ربه جل جلاله أن يريه الميزان
٥٦ ...	أن ملكا من ملائكة الله عز وجل موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم ... أنس
٥٦، ٥٤	ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس عبد الله بن سلام
٧١	أنه لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله تعالى ابن عباس
٧٦	حسابه أسرع من لمح البصر الحسن
٥٥	صاحب الميزان يوم القيامة جبريل حذيفة
٦٥	قدمت إلى مكة حاجا أو معتمرا فلقيت أبا هريرة أبو عثمان النهري
٧٦	قيل لعلي بن أبي طالب كيف يحاسب الله الخلائق ٧٦.....
٥٦	لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة لكل واحد ميزان الحسن
٥٣.....	الميزان له لسان وكفتان ابن عباس
٥٦ ، ٥٢	هو ميزان له كفتان ولسان الحسن
٧٦	يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة
٥٨	يجاء بالحسنات في أحسن صورة وي جاء بالسيئات في أقبح صورة ابن عباس

ثالثا - فهرس الأعلام

الصفحة

٥٥	ابن أبي الدنيا : عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادى
٥٥	ابن جرير : محمد بن جرير أبو جعفر الطبرى
٦٠	ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان
٥٨	ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله التمرى
٥٧	ابن عطية : عبد الله بن عطية الدمشقي
٤٩	ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينورى
٦٠	ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني
٤٨	ابن مالك : محمد بن عبد الله الطائي الجبالي
٧٢	ابن المبارك : عبد الله المزوى
٧٢	أبو داود : سليمان بن الأشعث
٥٣	أبو الشيخ : عبد الله بن محمد الأصفهاني
٦٥	أبو عثمان النهدي : عبد الرحمن بن مل
٥٩	أبو المعالي : عبد الملك بن عبد الله الجويني
٦٧	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني
٦٨	الأصبهاني : اسماعيل بن محمد
٧٠	البخارى : محمد اسماعيل
٦٧	البزار : أحمد بن عمرو
٦٠	البيهقي : أحمد بن الحسين
٥٩	الترمذى : محمد بن عيسى
٥٣	الثعلبي : أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى
٥٤	الحاكم : محمد بن عبد الله النيسابورى
٥٢	الحسن البصرى
٦٧	الدارقطني : على بن عمر
٦٩	الزجاج : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد

٥٢	سعيد بن جبير
٥٢	سليمان بن مهران الأعمش
٥٢	الضحاك بن مزاحم
٦٧	الطبراني : سليمان بن أحمد
٥٤	الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الطوسي
٥١	الفخر الرازي : محمد بن عمر
٥١	قتادة بن دعامة:
٥٥	القرطبي : محمد بن أحمد الأندلسي
٥٣	الكلبي : محمد بن السائب
٥١	مجاهد بن جبر
٥٠	مسلم بن الحجاج
	نافع
٧٣	النسائي : أحمد بن شعيب
٦٦	النسفي : عمر بن محمد السمرقندي

رابعاً - فهرس المصادر

الإرشاد

الجويني عبد الملك بن عبد الله . تحقيق أسعد تميم . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت .

اعراب القرآن

النحاس أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق د - زهير غازي مطبعة العالي ببغداد .

الأعلام

للزركلي . خير الدين . دار العلم للملايين . بيروت . ط (٦) عام ١٩٨٤ م .

أقاويل الثقات

لمرعي بن يوسف . تحقيق جميل عبيد القارعة . رسالة ماجستير جامعة أم القرى . عام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ .

البحر المحيط

أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي (٧٥٤ هـ) دار الفكر بيروت ط ٢ ١٣٩٨ هـ

بهجة الناظرين وآيات المستدلين

مرعي بن يوسف المقدسي . نسخة مصورة من نسخة تونس بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية (رقم ٤٣٤٥)
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة .

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد . تحقيق د / أحمد حجازي السقاء . دار الكتب العلمية . بيروت .

التفسير الكبير :

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر . دار إحياء التراث العربي بيروت . ط (٣) .

تقريب التهذيب

العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر . دار نشر الكتب الاسلامية باكستان .

تهذيب اللغة

الأزهري : محمد بن أحمد . تحقيق / عبد السلام محمد هارون . المؤسسة

المصرية للتأليف والترجمة . مصر ١٣٨٤ هـ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير . دار الفكر . بيروت . ط ١٤٠٥ هـ .

الجامع الصحيح (مع فتح الباري)

البخاري : محمد بن اسماعيل . تحقيق / عبد العزيز بن باز .

نشر دار الافتاء . الرياض .

الجامع الصحيح

مسلم بن الحجاج النيسابوري . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء

التراث العربي . بيروت .

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد . ط احياء التراث العربي .

بيروت .

الجامع لشعب الايمان

البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨) . مصورة مكتبة

المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم ٣١٦ - ٣٢١ .

الجرح والتعديل

الرازي : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم . مصورة عن طبعة دائرة المعارف

العثمانية بالهند .

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

الحمي محمد أمين الدمشقي . المطبعة الوصية . القاهرة . ١٢٨٤ .

الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة :

- الغزالي . تحقيق / محمد عبد القادر عطا . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت .
ط ١ . عام ١٤٠٧ هـ .
الدر المنشور في التفسير بالمأثور
السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن . دار المعرفة . بيروت .
الديباج المذهب
ابن فرحون ابراهيم بن علي المالكي . تحقيق / د . محمد الأحمدى أبو النور .
دار الفرات . القاهرة .
ديوان مسكين الدارمي
ربيعة بن عامر . تحقيق / عبد الله الحيدري . خليل العطية . مطبعة دار
البصرى . بغداد . ١٣٨٩ هـ
روح المعاني
الآلوسي
احياء التراث العربي . بيروت .
زاد المسير
ابن الجوزى . المكتب الاسلامي .
الزهد
ابن المبارك . عبد الله المروزي . تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب
العلمية . بيروت .
الزهد
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . دار الكتب العلمية . بيروت .
الزهد
هناد بن السرى . تحقيق / عبد الرحمن الفريواني . دار الخلفاء للكتاب
الاسلامي . الكويت .
سلسلة الأحاديث الصحيحة
الألباني : محمد ناصر الدين

سلسلة الأحاديث الضعيفة

الألباني : محمد ناصر الدين

السنن

أبو داود : سليمان بن الأشعث . تحقيق / عزت الدعاس . عادل السيد .
دار الكتب العلمية . بيروت .

السنن

النسائي : أحمد بن شعيب بن علي . المطبعة المصرية . الأزهر .

السنن

الترمذي : محمد بن عيسى . تحقيق / أحمد شاكر . إبراهيم عطوة . المكتبة
الاسلامية . بيروت .

السنن

ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي دار
الفكر . بيروت .

سير أعلام النبلاء

الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى .

شذرات الذهب

ابن العماد أبو الفلاح عبد الحتي الحنبلي . دار المسيرة . بيروت .

شرح الأصول الخمسة

القاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق / د . عبد الكريم عثمان . مكتبة وهبة
بمصر . ط (١) سنة ١٣٨٤ هـ .

شرح العقيدة الطحاوية

تخریج وتعليق الألباني . المكتب الاسلامي . دمشق . ط (٤) ١٣٩١ .

شرح الفقه الأكبر

الملاعي القاري . دار الكتب العلمية . بيروت .

الشرح والابانة

ابن بطة : عبيد الله بن محمد . تحقيق : رضا بن نعيان . المكتبة الفيصلية . مكة .

الشرعية

الآجرى : محمد بن الحسين . تحقيق : محمد حامد الفقي . نشر حديث أكاديمي . باكستان .

الصحاح

الجوهري . اسماعيل بن حماد . تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار . ط (٢) . ١٤٠٢ هـ .

صحيح الجامع الصغير

الألباني : محمد ناصر الدين . المكتب الاسلامي . بيروت . ط (٢) . ١٣٩٩ هـ .

عنوان المجد في تاريخ نجد

ابن بشر النجدي عثمان بن عبد الله . مطابع القصيم . الرياض . ط (٣) . عام ١٣٨٥ هـ .

غاية النهاية في طبقات القراء

ابن الجزري : محمد بن محمد أبو الخير . بعناية ج برجستراسر . دار الكتب العلمية . بيروت .

فتح الباري شرح صحيح البخاري

العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر . تحقيق / عبد العزيز بن باز . نشر دار الافتاء . الرياض .

فتح القدير

الشوكاني

مصطفى الحلبي . مصر

الفتوحات الالهية

الجميل

الكامل

ابن عدى : أبو أحمد عبد الله الجرجاني . دار الفكر العربي . بيروت ط (١)
١٤٠٤ هـ .

الكشاف

الزنجشري : جار الله محمود بن عمر . دار المعرفة . بيروت .
كشف الأستار عن زوائد البزار
الهيثمي . نور الدين علي بن أبي بكر . تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي .
مؤسسة الرسالة . بيروت .

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .
مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق د . محي الدين رمضان مجمع اللغة
العربية ، دمشق ١٣٩٤ هـ

الكشف والبيان

الثعلبي :

نسخة مصورة عن نسخة المحمودية بمكتبة المخطوطات في الجامعة الاسلامية
برقم ٢٧٤٧ ، ٢٧٤٩ . ومصورة عن نسخة المولوية بحلب برقم ٢٤٦٢ .
لسان العرب

ابن منظور : محمد بن مكرم المصري . دار صادر . بيروت .
لوامع الأنوار الهية

السفاريني : محمد بن أحمد الحنبلي . مطبعة المدني . القاهرة .
متشابه القرآن

القاضي عبد الجبار / تحقيق عدنان زرزور . دار التراث . بيروت .
مجلة أضواء الشريعة
العدد السادس .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهيثمي : نور الدين على بن أبي بكر . دار الكتاب العربي . بيروت .
مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم العاصمي . توزيع دار الافتاء .
الرياض .

المحرر الوجيز

ابن عطية الأندلسي : أبو محمد عبد الحق بن غالب . ط وزارة
الأوقاف المغربية . الرباط .
المستدرك على الصحيحين

الحاكم : محمد بن عبد الله النيسابوري . وفي ذيله تلخيص المستدرك .
طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد .

المسند

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . المكتب الاسلامي .

مشكل اعراب القرآن

مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق : ياسين محمد السواس ، مجمع
اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٤ هـ .

معالم التنزيل (تفسير البغوى)

البغوى : الحسين بن مسعود الفراء . تحقيق / خالد العلاء ، مروان
نوار . دار المعرفة . بيروت . ط (١) ١٤٠٦ هـ .

معاني القرآن واعرابه

أبو إسحاق الزجاج . تحقيق / عبد الجليل شلبي . عالم الكتب .
بيروت .

معاني القرآن

الفراء : أبو زكرياء يحيى بن زياد (٢٠٧) هـ عالم الكتب بيروت ط ٢ ،
١٤٠٣ هـ .

معجم المؤلفين

لعمر رضا كحالة . مكتبة المثنى . دار إحياء التراث العربي . بيروت .
المفردات في غريب القرآن .
الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد . اعداد / محمد أحمد خلف الله .
مكتبة الأنجلو المصرية .

مقالات الاسلاميين

أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل . تصحيح : هلموت رثر . دار إحياء
التراث العربي . بيروت . ط (٣) .

المواقف في علم الكلام

الايحي : عبد الرحمن بن محمد . عالم الكتب . بيروت .

الموضوعات

ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي . تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان .
المكتبة السلفية . المدينة . ط (١) ١٣٨٦ هـ .

النعت الأكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل

لمحمد بن كمال الدين بن محمد الغزي (ت : ١٢١٤ هـ) . تحقيق / محمد
مطيع الحافظ ، نزار أباطة . دار الفكر . دمشق . عام ١٤٠٢ هـ .

النهاية (الفتن والملاحم)

ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل (ابن كثير) . تحقيق / محمد أحمد عبدالعزيز .
دار التراث الاسلامي . الأزهر .

فهرس الموضوعات

الموضوعات

القسم الأول : الدراسة

الصفحة

٣	التمهيد :
٣	سبب اختيار الكتاب
٤	خطة الرسالة
٦	المقدمة : الميزان عند أهل السنة والجماعة
١٧	صفة الميزان
١٨	متى ينصب الميزان
١٨	اختلاف العلماء في الموزون
٢٤	المبحث الأول : ترجمة المؤلف
٢٤	اسمه ونسبه ونسبته وكنيته
٢٤	ولادته
٢٥	دراسته
٢٥	رحلاته
٢٥	شيوخه
٢٦	عقديته ومذهبه
٢٨	علمه وثقافته
٢٨	ثناء العلماء عليه
٢٩	المناصب التي تولاها
٣٠	تلاميذه
٣١	مؤلفاته
٣٣	وفاته
٣٤	المبحث الثاني : دراسة الكتاب والنسخ الخطية
٣٤	اسم الكتاب وتوثيق نسبه إلى المؤلف

الصفحة

٣٥ منهج المؤلف في تأليف الكتاب
٣٧ مصادره في الكتاب
٣٨ أهمية الكتاب
٣٨ بعض الملاحظات على الكتاب
٣٩ دراسة النسخ الخطية
٤١ المبحث الثالث : منهج التحقيق
٧٧-٤٧ القسم الثاني : تحقيق نص الكتاب
٨٢-٨٠ القسم الثالث : الفهارس
٧٩ فهرس الآيات
٨٠ فهرس الأحاديث
٨٢ فهرس الآثار
٨٣ فهرس الأعلام المترجم لهم
٨٥ فهرس المصادر
٩٣ فهرس الموضوعات

رقم الإيداع : ٨٩/٣٩٣٤

